

فوزيه شَلابى

فى الحَربِ والثقافةِ

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

في الحرب والثقافة

فوزية شلابي   خالد علي بورحيم

في الحرب والثقافة

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبيـة الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى
1393 و. ر - 1984 م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
ص.ب 959 مبرق 20235 "نيتليبيا"

مدخل

أحصينا عدد قتلانا .
لململنا اشلاء جثة الوطن .
وعلى الرصيف يبست بقعة الدم ، صارت سوداء .
قاسية . خشنة .
بهتت الوان الطيف .
لكننا لم نسأل عن القلم الذى أضحى شريداً .
عن المحبرة المتناثرة وسط اشلاء اللحم .
عن الفرشاة التى ردمت فى المقابر الجماعية .
عن المقهى الذى اختبأ تحت الكرسى .
فيا قلم .
ويا محبرة .
ويا فرشاة .

ويا مقهى .
أيتها الألوان. ورائحة الشاى المعطر . وصخب
الحوارات. دندنـة المواويـل. مـاكيتـات الصحـف
والمجلات .
يا عمال المطابع .
يا ابتهاج الورود القتيلة .
يا معارك الشعر وهستيريا الغناء :
كم . حجم . الخراب . الثقافى .
وماذا ابقى البرابرة .
ويا سؤال :
غرق هانىء أبي صالح فى جردل الموت الأحمر .
اشتعل على فوده فى جمرة الموت الأحمر .
اطلق خليل حاوى على رأسه رصاصة الموت
الأحمر .
ختم البرابرة على الكرمل .
البديل .
الطريق .
شؤون فلسطينية .

الهدف .

فلسطين الثورة .

إلى الامام .

الحرية .

بشمع الموت الأحمر .

نهشت أنيابهم الحمراء جسد مركز الابحاث الفلسطينية .

ووثائق المكاتب الصحفية والاعلامية .

يا سؤال :

ماذا بقى من جثة مشروع ثقافتنا الجديدة(*) .

(*) جريدة الجماهيرية ـ /82/10 م .

مشروع المحاكمة

- 1 -

عقب هزيمة يونيو 67 والتى كانت نتيجة سقوط المرحلة الممتدة ما بين 48 و 67 فى امتحان علاقة المصداقية بين الشعار الخطابى وبين الواقع اليومى الذى تعانيه الجماهير الشعبية. حيث يشكل برنامج الخطاب/ الكلام، أهم ملامح الحياة السياسية فى العالم الثالث بالذات حالاً محل منهج التحليل التاريخى أو استراتيجية العمل المقنن زمنياً وموضوعياً.

عقب هذه الهزيمة ارتفعت أصوات المثقفين العرب والتيارات الفكرية والسياسية المنشقة والمعارضة فى داخل الوطن وخارجه، تنادي بمحاكمة العقل العربى باعتباره المسؤول الأول عن الهزيمة. ورغم المثالية العقلانية ـ التي

كانت أقرب إلى الارستقراطية الفكرية والترف الفلسفي فِي وطن يفقد مواطىء اقدامه، والتى كانت تنتمى إليها ـ فى مناهج التحليل ـ تلك الاصوات فى أغلبها، إلا أنها ادارت حواراً علنياً مع تلك المرحلة وتصاعد الحوار فارضاً قوانينه الذاتية التي انتهت إلى المحاكمة العلنية واطلاق مرحلة الثورة النفسية على العقل العربي المتراجع أمام مد الطواطم السياسية والطبقية والجنسية والدينية.

وقيل يومها كلام كثير عن القمع النفسى الذى يبدأ بقمع علاقة المواطن مع المواطن ولا ينتهي عند قمع علاقة المواطن بجسده.

وكانت الهزيمة (ولاّدة) عبر ذلك الديالكتيك الذى استل من رحمها كل نقائضها التى ناضلت من أجل أن تبقى الهزيمة هزيمة ميتة. فولد مع الهزيمة جيل من المقاتلين والمبدعين والمفاهيم الجديدة لعل (المقاومة الفلسطينية) بظاهرتها السياسية والثقافية فِي موقع القلب منها، كما ولدت معها قواها السياسية والطبقية الجديدة التى وسّعت خارطة الصراع وأثرت تضاريسها الوعرة والمتشابكة، والتقطت البرجورعوية العربية دور الريادة الرسمية لمرحلة

ما بعد الهزيمة متحالفة مع الطبقات الكلاسيكية القديمة والمؤسسات السياسية الرجعية وثقافة المحافظين والسلفية الاسلامية!

كما حدثت متغيرات سياسية أخرى كثيرة... حيث سقطت أنظمة سياسية، وتفجرت ثورات، وولدت تنظيمات سياسية جديدة، وحدثت انشقاقات فى صفوف التنظيمات القائمة، وراجعت بعضها بعض مواقفها الايديولوجية الخاطئة، وارتفع مجدداً شعار النقد الذاتى الذى لم ينج من التحريفات الانتهازية وخبرات السلطة اليمينية فى إعادة توجيه الصراع وامتصاص المواقف الشعبية الغاضبة المعارضة لها.

ويسجل يونيو 82 هزيمة عربية أخرى ليس فقط لأن عاصمة عربية مهددة بالاحتلال خلال 24 ساعة فقط، وإنما لأن عصراً من النضال الديمقراطى الوطني والثورى مهدد بالسقوط بعد احتلال بيروت. إن قيمة بيروت الحقيقية ليست فى موقعها الجغرافى ولا فى سحنتها العربية ـ فهى فى هذا لا تختلف عن أى مدينة أو قرية أو حتى نجع عربى آخر ـ ، ولكنها فى الارهاصات السياسية والفكرية

الجديدة التى تفاعلت بها مع الواقع العربى العام.. وفى صدرها الديمقراطى المفتوح لكل العقد العربية الرسمية وغير الرسمية!

إنها دعوة إلى اطلاق صيحة جديدة مع هذه الفضيحة العربية التى سبق أن قيل فيها وعنها كل ما لا تسمح به حدود (البروتوكول الثورى).

دعوة إلى محاكمة جديدة للمرحلة من 67 إلى 82:

– محاكمة اليسار الطفولى والمراهق والناضج بكل تياراته وتنظيماته وبرامجه العلنية والسرية،

– محاكمة الأنظمة الوطنية التقدمية،

– محاكمة الحلفاء الاستراتيجيين للقوى الوطنية العربية.

– محاكمة الثقافة التقدمية،

– محاكمة القوى الاجتماعية والطبقات الوطنية التى كانت مرشحة لانجاز وقيادة عملية التغيير الثورى،

– محاكمة ما يسمى بالقوى الديمقراطية والتقدمية داخل اسرائيل، والتى كانت بعض القوى ترشحها للحوار والنضال المشترك ضد الدولة الاسرائيلية

العنصرية.

- محاكمتنا نحن جميعاً الذين ندعى الانتماء للشارع ولقوى المستقبل.

أما عن اليمين بأنظمته وطبقاته وحلفائه وأحزابه وثقافته، فقد أصدر فيه التاريخ حكمه منذ العهد العثمانى الأول. وغداً ربما تسقط بيروت فيكون التاريخ قد أصدر فينا حكمه أيضاً[1]!

- 2 -

إن نقداً ذاتياً وحساباً للنفس وكشفاً للحسابات السرية والمعلنة ومراجعة لكثير من التحالفات والارتباطات والمواقف والعلاقات يجب أن يبدأ، ويبدأ من الاجابة على سؤال جوهرى:

- نريد وطناً عربياً ديمقراطياً أم امبراطورية عشائرية أو طائفية أو قبلية؟!

- نريد جماهير منتجة أم موظفين كسالى لدى دولة بيروقراطية تخفى وجهها الحقيقى ببرقع الاشتراكية؟!

---

(1) جريدة الجماهيرية. 1982/6/25 م.

– نريد علاقات نضالية رفاقية أم عمالة ارتزاقية رخيصة ؟!

– نريد ثقافة ثورية مبدعة أم دروشة وفكر مخصي ومحاكم تفتيش ؟!

ويصبح علينا جميعاً ـ وطنيين وتقدميين وثوريين ـ أن نحدد بموضوعية لماذا اخترنا التحالف مع قوى سياسية دون غيرها . ولماذا لم تبن كثير من العلاقات فيما بيننا على أسس ديمقراطية صحيحة . ولماذا قررنا ـ بوعى أو بدونه ـ تعطيل حركة الجدل التاريخى بين تناقضاتنا . وهل لعبت العلاقات والاختيارات الفوقية المعزولة عن الجماهير دوراً فى موقف اللامبالاة الشعبية التى اجمع عليها الشارع العربى إزاء حرب بيروت ، أم أن القمع التقدمى قد أصبح هو الآخر آلية من آليات النظم الوطنية التى يحتم علينا شرفنا الوطنى والقومى الاعتراف بكامل المرارة بأننا جميعاً كنا شركاء فى تكريسها وتجذيرها[2] .

---

(2) جريدة الجماهيرية . 1982/8/20 م .

• فالمعارضة الشرعية فى الوطن العربى هى جزء لا يتجزأ من بنية السلطة اليمينية القائمة. ذلك أن الشرعية التى تقوم عليها هى نفس الشرعية الدستورية التى تقوم عليها تلك السلطة، وهى بالتالى جزء من الاكسسوار الديمقراطى الذى تحاول الدولة البرجوفاشية ـ فى العالم الثالث بالذات ـ إخفاء طبيعتها البوليسية وامتصاص الروح الثورية التى غالباً ما يواجه بها الشارع العفوى اجراءاتها السياسية الموجهة نحو قمع الحريات العامة.. واجراءاتها الاقتصادية الساعية نحو إثقال كاهل الجماهير الكادحة بالمزيد من الاعباء المالية وسرقة عرقها. وذلك خوفا من تصاعد حركة وعى الشارع نحو تقنين تلك الروح وإعادة صياغتها فى إطار عملية واسعة تستهدف تدمير تلك الدولة.

وهذه المعارضة الرسمية التى لا تنتمى للشارع ولا لحركة نضال الجماهير من أجل الحرية والتقدم، تنسجم فى برمجة حركتها مع الدور المرسوم لها. إذ لا تتجاوز فى معارضتها حدود النقد الاصلاحى الكلاسيكى الذى يتجه فى الاساس نحو تطوير امكانات الدولة القامعة

اعتمادا على إحداث بعض التعديلات الشكلية الخارجية التى لا تمس الوظائف التاريخية لتلك الدولة. ومن هنا يمكن القول أن المعارضة الرسمية هى إحدى المؤسسات الوظيفية للدولة القامعة. ينطبق ذلك على المعارضة العربية الرسمية التى تشكل فى أغلبها تجمعات وتنظيمات حزبية تقتات من فضلات الأفكار النازية والفاشية التى عرفتها أوروبا فى بداية هذا القرن،وهى بالتالى ليست موضوع المحاكمة التى ندعو إليها والتى تتعرض لعلاقة المعارضة بالجماهير: كيف. لماذا. إلى أين. ذلك أن التاريخ ـ وكما سلف ـ كان قد أصدر حكمه على اليمين بطبقاته ومصالحه وثقافاته وأشكال دولته السياسية وأحزابه ومؤسساته، ولم تعد هناك حاجة لدعوته للمثول أمام محكمة استئناف!

يبقى إذن أن موضوع المحاكمة هو المعارضة التى ترفع يافطة كبيرة باسم الجماهير، وهى ممثلة فى اليسار التقليدى بمتطرفيه ومعتدليه وفى التيارات الدينية شديدة التطرف.

إن احداث يونيه/82 إن لم تبرهن على إفلاس تلك

المعارضة فهى ـ على الأقل ـ تطرح شكوكاً عميقة حول صحة ادعاءاتها فى الانتماء للجماهير والسيطرة على حركة الشارع وتقدم صفوفه الواعية عبر نضالها (الطليعى) . فالتيارات الدينية سواء منها المتطرفة التى ظهرت فى السبعينيات أو الأشد تطرفاً التى عُرفت ما بعد منتصف 79 ، والتى ترفع شعارات حماية الاسلام والدفاع عن مقدساته ثبت صمتها المتواطىء مع الصمت الرسمى وأنها حركة (قيادات طليعية) ينتهى حضورها فى الشارع بمجرد غياب أو اقصاء تلك القيادات ـ كما حدث فى تونس ومصر حيث تتحفظ السلطة على قيادات التنظيمات الدينية داخل السجن ـ كما ثبت أيضاً غياب دور اليسار التقليدى ـ باستثناء لبنان ـ ، حيث تبدو أحزاب هذا اليسار احزاباً للبيروقراطية والأوامر الادارية الخارجية التى تلقى شبهة العمالة ، كما تأكد غيابها عن الشارع الذى تدعى الانتماء إليه والنضال وسط جماهيره مما يشير إلى احتمال وقوع هذه الأحزاب تحت سيطرة القوى الانتهازية والبرجوازية التى تعمل على تهجين برامج هذه الاحزاب وإعادة صياغة دورها ليكون دوراً ليبرالياً

يسعى إلى المشاركة فى سلطة الدولة البرجوازية بدلاً من الثورة عليها وتدميرها.

والمحاكمة التى يجب أن تكون هى التى تبدأ من طرح السؤال حول لماذا يحدث هذا الخلل الكبير فى علاقة اليسار بالشارع على الرغم من انحيازه الايديولوجى له. وما هى صيغة العلاقة بين اليسار العربى التقليدى وبين القيادة الأممية لهذا اليسار. ولماذا لم تحرك المعارضة شوارعها الدينية واليسارية فى ثورة تستهدف تدمير الدولة المعادية فى هذا الظرف التاريخى الذى فضح مأزق القوى اليمينية المهيمنة. وما هى الحسابات التى تمنع - أو تؤجل - ذلك: هل هى حسابات الذاتى والموضوعى فى الواقع العربى، أم حسابات استراتيجية التوازن والمعادلات كما ترصدها القيادة الأممية أو الكنيسة الاسلامية المعاصرة. وهل استنفدت الصيغ والاشكال والمضامين والايديولوجيات المطروحة للمعارضة أغراضها وأصبحت - فى ظل المعطيات العربية - تراثاً تاريخياً يزين جدران متحف النضال. وهل أزمة المعارضة اليسارية هى أزمة قيادات خائنة أو متواطئة، أم أزمة جماهير مغيبة،

أم أزمة ايديولوجيات جامدة، أم أزمة اليسار الثالث - يسار العالم الثالث - المخصى.

ويبقى أن مواجهة الامبريالية اليابانيـة وإنجاز مهـام مرحلة التحرر الوطني قد دعت ماوتسى تونج فى الصين إلى التحالف مع حزب (الكيومينتاج) حزب البرجوازية واضعاً بذلك أولى خطاه على طريق الخلاف المذهبى مع الماركسية اللينيية ومبتدئا مرحلة تحريف - كما يسميها الغلاة اللينينيون -. أضيف فيها اسمه إلى تروتسكى، من أجل (الصين الحرة)، فكان أن أصبحت (الماوية) خياراً آخر ساهمت الحرب فى صياغته.

فماذا عسى الحرب عندنا تفعل![3]

● وموقف الأنظمة الوطنية / التقدميـة كما اتضـح ويتضح في هذه المرحلة يتطلب نوعـاً مـن الموضـوعيـة الفائقة والشجاعة الوطنية التى لا يحركها غير النضال الجاد مـن اجـل البحـث عـن مخرج مـن هـذا المأزق التاريخى / الفكر سياسى. وإن أى قراءة لأزمة هذه

---

(3) جريدة الجماهيرية، 1982/7/2 م.

الأنظمة لا تبدأ من أزمة الديمقراطية التى تعانيها علاقة المواطن بالسلطة لا يمكن أن تضيف شيئاً ولا أن تطرح تحليلاً علمياً يتيح الفرصة لامكان تجاوز المأزق والشروع فى انجاز مهام البديل.

لقد ارتفع ـ وكما سبقت الاشارة ـ كثير من الأصوات عقب هزيمة يونيو منادية بمحاكمة العقل العربى محملة إياه المسؤولية الكاملة عما حدث، وإذا كانت تلك الأصوات قد اضطرت الى مداراة الحقيقة تحت ضغط الظروف السياسية القائمة والعلاقات المشبوهة بينها وبين المؤسسة العسكرية فى أكثر من نظام طالته الهزيمة بحيث حلت عمليات الابدال والاعلاء وأساليب المجاملة البرجوازية محل الحكم الاخلاقى المسؤول الذى يسمى الاشياء بأسمائها ويحدد مواقعها، فإن تلك المداراة ـ وأى مداراة أخرى لاحقة ـ تشكل خيانة أخرى تضاف إلى قائمة الخيانات الوطنية السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية!!

وإذا كان تشابك خارطة المصالح الفوقية للقوى الناشئة والبرجوازية القديمة والفاشية هو الذى يحول دون

تقديم البعض للمحاكمة حـرصـاً على تلـك المصـالـح ودفاعـاًعنهـا وحمايـة لها ، فـان وضـوح رؤيـة الجماهير ومنهجها الثورى القادر على الفرز والتصنيـف ما بين المعسكر المعادى والمعسكـر الحليـف ومعسكـر الثـورة والوطن ، هو الذى يدفع فى اتجاه المزيـد مـن الوضـوح والجرأة فى توجيه اصابع الاتهام وطرح أسئلة المحاكمة دون مواربة أو قراءة لبعض الحسابات أو إعداد تكتيكى للمناورة السياسية حول تلك القوة أو تلك..

وباعتبار أن الأنظمة الوطنية تتحمل مسؤوليتهـا ـ أسوة باليسار البيروقراطى وجبهة الأصدقاء ..ـ فيما حدث ولا تنجو من الادانة الشاملة الموجهة الينا جميعاً ، فإن كثيراً من الأسئلة يمكن أن تطرح حول وطنيتها وحول تركيبتها وجذورها وتاريخها .. ويمكن ـ أيضاً ـ أن تعاد صياغة تلك الأسئلة لتصبح أسئلة جوهرية جذرية غير مرهونة بالظرفية والمرحلية والاستثنائي. ولنبدأ ..

● ما هو مفهوم الوطنية وما هى مقاييسها ؟! وهل الوطنية انتماء بالانتساب أم انتماء بالرؤية والموقف الوطنى فى ظل أنظمة تعتمـد الولاءات العشـائـريـة والعـائليـة

والقبلية ؟ وهل يمكن أن تكون الحرب الوطنية التى تعلنها أو تخوضها أو تتحجج بها أنظمة من هذا النوع هى حروب الدفاع عن الوطن أم حروب الدفاع عن السلطة وامتيازات العشائر والعائلات والقبائل الموالية ؟ وهل يمكن ـ حقا ـ تصديق أن أنظمة من هذا النوع لا تريد أن تنجر إلى مؤامرة الحرب ـ مثلاً ـ خوفاً على الوطن بينما هى فى الواقع تخشى على سلطتها الاوتوقراطية ؟

● ما هى علاقة الوطنية الاوتوقراطية بالتقدم والتقدمية ؟ وهل يمكن إيجاد أى علاقة ـ ومن أى نوع ـ بين الفاشية وبين التحول الاشتراكى وديمقراطية الابداع واطلاق حريات الجماهير الشعبية فى مواجهة مؤسسات القمع ومصالح الطبقات العميلة المعادية ؟

● ما هى علاقة هذه الوطنية باطارها القومى العريض بقضاياه وتناقضاته وقواه ويساره ويمينه ، وهل يمكن أن تؤسس هذه الوطنية الشوفينية المتخلفة علاقة صحيحة وناضجة مع قوميتها ؟ وما هو منظورها للقومية هل هو منظور علمى قومى اجتماعى أم منظور غيبى مثالى ؟

• هل يمكن أن تكون الساحة القومية ميداناً لانفراج أزمات الأنظمة الوطنية الخانقة التى يعانى منها واقعها المحلى الداخلى؟ وألا يعنى هذا الانفراج - كما يطرح الواقع العربى - نقل التناقضات والخلافات من اطارها المحلى الى إطار أوسع هو الاطار القومى وهو ما يسميه علم الاجتماع البرجوازى (إعادة توجيه الصراع) بحيث يتوفر حد أدنى من الأمن الداخلى لتلك الأنظمة ولاجهزتها البوليسية ؟!

• هل استطاعت الأنظمة الوطنية بناء علاقات موضوعية بين بعضها البعض تتجاوز بها تناقضاتها الثانوية ولا تخضعها لاطماعها الانتهازية واحلامها التوسعية فى تشييد الامبراطورية الحزبية أو العقائدية أو العائلية أو الاقطاعية البطريركية حيث تشكل تلك العلاقات حجر الاساس فى توجهاتها واختياراتها القومية ؟

• هل استطاعت الأنظمة الوطنية إسقاط المفاهيم البيروقراطية والعلاقات البرجوازية المكرسة لرعاية

مصالح النظام / الدولة فى علاقتها اليومية بالوطن العربى كموضوع أساسى للمشروع القومى ؟

وإذا كانت أهم ملامح الأنظمة السياسية فى العالم الثالث هو فى كونها أنظمة الخطاب السياسى وليست أنظمة « المشروع » أو « البرنامج » وهو ملمح يكاد يلون الخارطة السياسية الرسمية وغير الرسمية بلونه الزئبقى على نحو كلى فإن هذه الظاهرة تتمتع بوجود مكثف وتمثل خاصية هامة من خصائص النظام الوطنى العربى ـ خاصة وإن أغلب هذه النظم الوطنية قد جاءت الى السلطة عبر ثقافة التآمر المناهضة للديمقراطية والمعادية لها عداء مطلقاً والتى تلعب فيها دبابة الانقلاب العسكرى ومارشاته الموسيقية التى تفتتح بها الاذاعة بثها الصباحى دوراً رئيسياً ! ـ

وهذا يضطرنا الى التوقف عند أهم ما أفرزته حركة الجدل السياسى العربى عقب حرب 73 ممثلاً فى جبهة الصمود والتصدى . .

فجبهة الصمود والتصدى باعتبارها الشكل الأمثل

المتاح فى علاقة الأنظمة الوطنية بعضها ببعض، لم تستطع رغم معطيات الظرف السياسى الذي أفرزها ورغم حجم التحدى التاريخى المطروح عليها.. ان تتجاوز بحركتها ودورها وحضورها فى الخارطة السياسية العربية حدود «الخطاب السياسى البروتوكولى»..

وجبهة الصمود رغم التظاهرة السياسية والاعلامية التى رافقت بروزها كشكل من أشكال التلاقى الفعال بين القوى الوطنية العربية الرسمية، لم تتمكن من تقنين حركتها وأدلجة مواقفها عبر هيئات ومؤسسات تعيد صياغة موقف رد الفعل الذى شكلها الى موقف فعل واع يحقق اقصى حد من التفاهم الايديولوجى حول القضايا المصيرية ويضفى على حضورها طابعاً شرعياً يتيح لها حرية الحركة وإقامة علاقات موضوعية واستراتيجية مع كافة القوى الديمقراطية والتقدمية فى العالم بداية بالديمقراطيين المسيحيين وانتهاء باليسار الجديد مروراً بالشيوعيين والشيوعيين الاوروبيين والاشتراكيين الدوليين.. فلقد مضى على اعلان قيام الجبهة أكثر من ثلاث سنوات دون أن تقوم مؤسساتها وهيئاتها التى نصت

عليها المواثيق والبيانات الصادرة عنها، ودون أن يكتسب كيانها وجوده وشخصيته الاعتبارية، أسوة بالتجمعات الدولية «الاقتصادية والسياسية».. فى نفس الوقت الذى استطاع فيه الخليج أن يخلق من نفسه قوة سياسية فاعلة ومؤثرة من خلال «مجلس التعاون الخليجى» الذى لم يقف عند حدود البيان الدعائى وإنما تجاوزه الى بناء مؤسساته وتنفيذ برامجه ورسم سياساته العامة.. حدث هذا على الرغم من أن جبهة الصمود والتصدى أريد لها أن تكون فى الصف الوطنى التقدمى، فى حين أن «مجلس التعاون الخليجى» هو مشروع يمينى آخر جديد يضاف إلى انجازات اليمين التى لا يمثل حصار بيروت والمقاومة آخرها بالطبع!

والسؤال الذى لا بد من طرحه ـ مع التحفظ على مسألة المقارنة بين جبهة الصمود وبين مجلس التعاون الخليجى حيث يحسب الأخير على الاستراتيجية الامبريالية فى المنطقة وحيث يمثل تجمع قوى سياسية متجانسة هى القوى البترودولارية، فى حين أن الأول هو مشروع وطنى ويجمع قوى بينها كثير من التناقضات التى

عبرت عن إهمالها وتجميدهـا لها بـانتقـالها إلى مـرحلـة الاعلان عن مشروع ومؤسسات وبرامج عملية ـ..

– لماذا لم تقم مؤسسات جبهة الصمود والتصدى؟!

– ولماذا هذا التخلى عن دور التصدى فى المعركة الجارية الآن؟

– وهل يمكن أن يكون ـ ذلك بمثابة الاعلان عن انهيار الجبهة، وبالتالى انهيار الأنظمة الوطنية العربية؟!

– ومن ولماذا وكيف؟![4]

● ثم إن آلية القمع المقنن فى الدولة الاستبدادية ـ اقطاعية كانت أم برجوازية ـ هى التي رشحت المؤسسة البوليسية لتكون محوراً أساسياً فى تحديد وضبط علاقتها بمواطنيها اعتماداً على ايديولوجية العنف الاستبدادى التى تحاول بواسطتها استباق العنف الشعبي المتطور من الثورة الانفعالية إلى الثورة التاريخية والموجه فى الاساس لضرب مصالح هذه الدولة وتصفية وجودها الطبقى والسياسى. ويكشف تاريخ الاستعمار الحديث عن المهام الامبريالية

---

(4) جريدة الجماهيرية، 1982/7/16 م.

التى أوكلت الدولة الاستبدادية فى الغرب الرأسمالى لمؤسساتها العسكرية القيام بها خدمة للمشروع الرأسمالى المتطلع إلى توسيع حجم الرساميل الثابتة والمنقولة الطبيعية والبشرية، وعن كيف استطاعت هذه الدولة أن تخلق نوعاً من التوافق والتوازى بين الدور القمعى المحلى الذى تلعبه (المؤسسة البوليسية) وبين الدور القمعى الخارجى الذى تلعبه (المؤسسة العسكرية).

وإذا كانت الدولة الاستبدادية الأم قد أنشأت مؤسساتها العسكرية ـ التى يمكن أن تعد الشكل الأكثر تطوراً وعصرية لعلاقات القنانة الاقطاعية القديمة ـ لتخدم بها مشروعها الرأسمالى العالمى ـ أو مشروع دولتها الكوزموبوليتانية ـ، فإن الاستبداديات التابعة والملحقة ـ فى العالم الثالث بشكل خاص ـ قد سارعت هى الأخرى الى انشاء هذه المؤسسة لتضفى بها شكلاً اكسسوارياً عصرياً على كيانها من جهة، ولتؤمم بها المواقف والمشاعر والأدوار الوطنية من جهة أخرى، ولتدعم بها بيئتها الاقتصادية الاستهلاكية كسوق لتصريف منتجات وسلع المؤسسة الامبريالية الأم.

وبصيغة أكثر وضوحاً يمكن القول ان المهمة التاريخية للمؤسسة العسكرية فى العالم الثالث ـ التى تعادل المهمة الوطنية فى حماية التراب الوطني والدفاع عن السيادة ـ هى مهمة حماية النظام القائم والدفاع عن شرعيته البرجوازية الفاشية من خلال تعطيل حركة التقدم الاجتماعى وقمع الشارع بكل قواه الوطنية. حيث يصبح النظام بديلاً للوطن / ونزول مدرعات وآليات الجيش للشارع بـديلاً عن انتقالها الى ميادين القتال الحقيقى ضد العدو الأجنبي وحلفائه المحليين من طبقات عميلة وهيئات ومؤسسـات تجسسية.. الخ / ويصبـح الارتـزاق بـديلاً عـن الولاء الوطنى / .

وتعد المؤسسة العسكرية فى العالم الثالث واحدة من أخطر المؤسسات التربوية التى يعاد فيها تشكيل شخصية المواطن وتربيتـه على ثقـافـة التبعيـة الكـاملـة والولاء الشخصانى للزعامات الفرديـة والطبقـات والمؤسسـات القمعية / الناهبة لخبزه / المتاجرة بعـرقـه. وحيـث يتم تصوير الديمقراطية على أنها العدو الأول الذى يستهدف وجوده ويهدد أمنه واستقـراره، ويتم كـذلـك اختلاق

واصطناع روابط تعسفية بين مستقبل هذا المواطن وبين مستقبل هذه المؤسسة حتى يصبح دفاعه عنها موقفاً شخصياً يمتحن شرفه ورجولته وكرامته الوطنية!!

وعلى الجيوش العربية فَقسْ![5]

---

(5) جريدة الجماهيرية، 1982/8/13 م.

الحرب والأسئلة الجديدة

- 1 -

المأزق التاريخي يعادل موضوعياً / ..

اداة الاستفهام.

الفعل

الصداع

ساعة الصفر.

والمأزق التاريخي يطرح التحدي بشكل فاضح - استفزازي - مثير للاعصاب، بحيث يتحول الى (معاناة) في وسط الجماهير... و (عقدة) في وسط المثقفين العصابيين.. ونوع من (الفانتازيا الايديولوجية) في وسط التنظيمات والمؤسسات الحديدية الستالينية.. وطقس من طقوس (النيرفانا / أو الصوفية البوذية) في أوساط

الدراويش والمغيبين دينياً.

وبانوراما الدراما العربية الأخيرة التي تتشكل من انتهاك شرف بيروت الذى أفضى الى انتهاك تفاصيل قائمة الشرف العربي.

الشرف الديمقراطي. الشرف الاشتراكي. الشرف القومي. الشرف الراديكالي. الشرف الماركسي. الشرف الليبرالي. الشرف العسكري. الشرف الديني. الشرف القبلي. الشرف الفينيقي. الشرف الأممي. الشرف الطبقي. الشرف الطائفي. الشرف الشعري. الشرف الجنسي. الشرف الاصلاحي. الشرف الثوري. الشرف البعثي. الشرف الناصري. الشرف الشيعي.

الشرف بكل مفاتيحه.. الايديولوجية والاخلاقية والفلسفية والاجتماعية.

هذه البانوراما تدعونا اولاً إلى ترميم أدوات الاستفهام وصيانة الفعل وقياس مؤشرات الصداع والتأكد من صلاحية عقارب ساعة الصفر، وذلك لنتمكن من انتشال (المأزق) وتمديد جسده بالكامل في وسط الشارع لتلقى عليه الجماهير نظرتها وتبحث عن

صبغة ما للتعامل معه/ ..

- تتعايش أو لا تتعايش ؟!
- تموت أو تحيا ؟!
- تترك له الشارع أو تكنسه منه ؟!

- 2 -

الرأسمالية الاسرائيلية هزمت الاقطاع العربى العشائرى والبرجورعوية والبرجوازية والبترو دولار العربي. الديمقراطية الاسرائيلية هزمت الديكتاتوريات العربية.

شوفينية اليمين الاسرائيلى هزمت أممية اليسار واليمين العربيين على السواء، الموساد الاسرائيلى هزم كذا جهاز مخابرات عربياً مركزياً.

هذه هى القراءة الأخرى للوجه الآخر لبانوراما الأحداث العربية، التى تقول باختصار شديد أن (النموذج الصهيونى) قد هزم (كذا نموذجاً عربياً) / كذا مرحلة وتجربة وصيغة وان الدعوة الى تكريس الجهد من أجل البناء الداخلى لا يمكن

اعتبارها بأي حال من الأحوال دعـوة الى الانكفـاء أو الردة الاقليمية الضيقة القائمة على البحث عن هوية بديلة ومستقبل بديل فى اطار المحدودية المحلية أو الجهوية ذلك ان انصراف الجهد الابداعى الى الاهتمام بمسألة (النموذج البديل) أو (النموذج المضاد) الذى تتهيأ له إمكانية مواجهة (النموذج الاسرائيلى) القائم على عقدة التفوق العنصرى المؤسسة على عقدة الاضطهاد العرقى لليهود فى المجتمع الانسانى، يشكل محوراً مركزياً من محاور استراتيجية التحدى العربى لإيقـاف قطـار الموت الزاحف نحو الخارطة خاصة وإن هذا الجهد يتم - أو ينبغى له أن يتم فى ظل الشروع بانجاز مشروع (دولة كل العرب) التى تناضل من أجل بناء (النموذج الديمقراطى الاشتراكى للدولة العربية المعاصرة) والتى تصوغ برنامجها الثورى من خلال جملة الحقائق والمعطيات التى أفرزتها تجربة حصار الـ (70) يـومـاً مـؤكـدة على الحقـائـق والمعطيات العامة لحركة التاريخ فى اتجاهها الثورى المنحاز لقيم الحرية والتقدم التى تقنن بها الجماهير الشعبية جدل حركتها اليومية لتتقدم من خلالها بديلها الحضارى على

انقاض علاقات الملكية العبودية والقمع الفكرى والسياسى والتعهير الاجتماعى: ومن هنا فإن توظيف (البرنامج الثورى) لخدمة استراتيجية المرحلة القادمة المستهدفة لمواجهة الاستراتيجية الصهيونية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال انصراف جهد الجماهير الى إبداع (نموذجها الحضارى) عبر عمليات المراجعة النقدية وإعادة برمجة أهداف العمل الثورى بما يخدم ايديولوجيته أكثر مما ينبهر بانجازاته السياسية المرحلية المؤقتة[6].

---

(6) جريدة الجماهيرية، 1982/10/8 م.

البرنامج الثورى القتالى

- 1 -

فى مسرحية (مأساة جيفارا) اعتبر معين بسيسو ان إهمال جيفارا للمسألة التنظيمية وتفرغه بالكامل لمهام المواجهة العسكرية المباشرة مع العدو من خلال حرب الادغال التى كان يقودها يشكل سبباً رئيساً من أسباب نجاح الامبريالية الامريكية فى إجهاض المشروع الثورى بامريكا اللاتينية خلال الستينات بحيث أدى اغتيال (جيفارا) على أيدى عملاء المخابرات المركزية الى توقف شبه كامل للحرب الثورية فى القارة ابتداء من بوليفيا حيث كان يقاتل الى أقصى حدود المكسيك.

وفى مسرحية (تروتسكى فى المنفى) يورد بيتر فايز

مؤلف المسرحية على لسان لينين قوله: عندما أموت لن يعترف الآخرون بك وسيعتبرون اهتماماتك الأممية صلفاً وتفاهة سيحزمون أمرك ويلفظونك وسنرى حينئذ ماذا تساوى الجماهير الثورية (!) وذلك فى معرض رد لينين على اعتراضات تروتسكى حول الأسلوب الذى أديرت به الثورة عندما تساءل: كم واحداً منا شارك فى القتال؟. الجماهير لم تشترك فى القتال.

وفى (الفكر العربى فى معركة النهضة) يرى أنور عبد الملك ان الحروب الشعبية أو الحروب التمردية المستمرة التى شهدتها منطقة المغرب العربى والتى لم يجر الانتباه لها بما فيه الكفاية، تمثل تراثاً هاماً.. غير أن هذا التراث يبدو شبه غائب فى الفكر السياسى العربى المعاصر وإن ضرورة التحديث الاجتماعى تتطلب الاهتمام بهذا التراث الذى يعد الاعتماد على جماهير الشعب فى المواجهة المسلحة هو أهم وأخصب ملامحه التاريخية والسياسية.

- 2 -

إن محور اهتمام النماذج الثلاثة الواردة ـ رغم التناقض الايديولوجى الجوهرى بيننا وبينها ـ هو قضية التقدم

من خلال الثورة بما تعنيه من تجاوز للمأزق التاريخي الذى انتهت إليه مصالح القوى القديمة المتنامية على حساب المصالح الشعبية الواسعة والمعطلة لحركة التطور الاجتماعى بسبب خوفها من فقدان مواقعها وامتيازاتها كقوى قاهرة بعد أن تفقد مؤسساتها وهياكلها وفلسفاتها الاجتماعية شروط التوافق مع التغيرات الموضوعية الحادثة بفعل نمو قوى جديدة بديلة تعبّر عن منظومة جديدة كاملة من العلاقات والقيم والبُنى..

ومن زاوية العلاقة بين (الثورة والجماهير) فى ظل المواجهات المعقدة والمركبة التى يعقد فيها العدو الطبقى المحلى تحالفاته ضد الجماهير الشعبية مع العدو القومى، بحيث يرتبط النضال الثورى السلبى بالقتال وحيث الجبهة واحد من أخطر المحكات العملية التى تجرى فيها عملية تربية الكادر الثورى الذى يحمل مع القلم والفأس بندقية أو مدفعاً وربما سكيناً مثلما تعد أهم مفرزة لتحديد القوى الثورية الحقيقية من بين جموع الشعب العديدة التى تناضل بالسلاح من اجل صون مكتسباتها أو العمل على توفير فرص تحقيق تلك المكتسبات المنشودة من خلال

الاصرار على الحاق الهزيمة بالقوى الاجتماعية العميلة التى تتخندق مع العدو القومى فى خندق واحد . .

إن ارتهان الحرب القومية بالحرب الطبقية ـ ومجزرة بيروت احد أكثر شواهدها اهمية ووضوحاً حتى أن مراسل هيئة الاذاعة البريطانية فى بيروت ذكر فى مراسلته للاذاعة / المذاعة ظهر الاثنين 82/9/20 في برنامج عالم الظهيرة بالحرف الواحد :

« فر السكان الفلسطينيون والمسلمون من الاحياء الفقيرة فى بيروت الغربية عقب انتشار اشاعة مفادها ان قوات الرائد سعد حداد دخلت المدينة » .

مما يؤكد أن الحرب ليست أهلية أو طائفية أو قومية فحسب ولكنها وفى الاساس طبقية ـ هو الضمانة الوحيدة للحيلولة دون خلق خلل فى علاقة الجماهير بالثورة ودون وصم تلك العلاقة بالميكافيلية أو البرجماتية الراديكالية وهو أيضاً الضمانة لتحصين التنظيم الثورى ضد ظاهرة (التبرجز التنظيمى) التى يتحول فيها الكادر الثورى الى تاجر أو مقاول أبقار أو ثري من أثرياء الحرب على حساب آلاف الشهداء والضحايا الذين يسقطون في

معركة تتحول بفعل تلك الظاهرة من معركة دفاع عن الشرف الوطنى الى معركة دفاع عـن امتيـازات الطبقـة الجديدة ومؤسساتها ومصالحها وحساباتها وبرامجها ..

ذلك أنه (ليس من حق قوة الوعى الجديد أن تحتكر الأفعال لا فى السلطة السياسية ولا فى نضال الشوارع) كما يقول تشارلز رايس احد رواد نظرية الثقافة المضادة التى تهتم بدراسة وتحليل أنماط الثقافـة اليمينيـة السـائـدة فى المجتمعات البرجوازية، بل إنه ليس من حق هذه القـوة أن تتخذ مواقف أو تتبنى استراتيجيات يتوقف تنفيذها على ما تبذله الجماهير من تضحيات ومن عرق ودماء فيما تتجه هذه القوة الى ممارسة أشكال النضال البرجوازى الذى يحتمى باطلاق الشعارات والثرثرة الايـديـولـوجيـة فى المخابىء وغـرف العمليـات المكيفـة المضـادة للـدروع والآليات والمنتجعات الصيفية والشتـويـة البعيـدة عـن خطوط المواجهة الأمامية ..

فإذا كان من واجب الجماهير أن تتحمل مسؤولياتها فى الدفاع عن حقوق السيادة الوطنية والتاريخية وعن القيم الثورية التى تعتنقها والتى تصوغ من خلالها مجتمعها الحر

فإن من واجب الطليعة الثورية أن تتقدم صفوف هذه الجماهير فى الدفاع حتى الموت عن شرف حركة الوعى الذى استلهمته من معاناة تلك الجماهير ومن تراثها الثورى والذى أسست من خلاله رؤيتها الايديولوجية لحاضر تلك الجماهير ومستقبل غدها..

- 3 -

إن الاهتمام بالمسألة التنظيمية كأحد دروس الحرب وضرورات التعبئة الشاملة لا يجب أن يترك للقوى الانتهازية واليمين الثورى والاميين الثوريين بحيث تتحول إعادة بناء التنظيم الثورى الى عملية ارشيفية بدائية تركز جهدها على إعادة تسجيل الاسماء وصرف بطاقات عضوية جديدة واعطاء ارقام اشارية جديدة للملفات والمعاملات والمراسلات وطلاء واجهات المثابات باللون العقائدى أو صرف مكبرات صوت حديثة!

فإعادة بناء التنظيم الثورى يجب أن تتركز حول إعادة صياغة مفاهيم البرنامج الثورى المقترح والمتضمن فى البطاقة الخضراء.. ذلك أن هناك محاولات واجتهادات

وتأويلات كثيرة بذلت من قبل أطراف عديدة لتفريغ ذلك البرنامج من مسؤولياته العملية المحددة وتحويله ـ وكما سبقت الاشارة فى اعداد سابقة ـ الى مشروع خطاب سياسى..

فالثوريون فسروا التحريض بأنه (ثرثرة ايديولوجية) ولم ينجحوا فى تقديم (الشريك المنتج) كنموذج اجتماعى وثقافى يعبر عن القيم الاشتراكية الجديدة فى العمل والانتاج.

- وكذلك بحيث أصبح الفشل الدراسى معادلاً موضوعياً للثورية..
- و.. و.. و.. الخ..

واذا كانت اللجان الثورية ليست حزباً تقليدياً يسعى الى تقويض المجتمع القديم ليقيم على انقاضه مجتمع الديكتاتورية العسكرية أو الطبقية أو اللاهوتية أو العشائرية فإن ذلك لا يمكن أن يتخذ ذريعة لافراغ برنامجها الثوري من مضامينه التقدمية التى تعنى خوض المعارك في الشارع وسط الجماهير، كذلك فإن الاعتراض على اعتبار اللجان الثورية حزباً طليعياً يناضل نيابة عن

الجماهير ويستلم السلطة بدلاً منها لا يمكن أن ينفى عن اللجان الثورية كـونها تنظيماً لمنـاضلين ثـوريين يجب أن يكونوا طليعة للحرب الشعبية التى تخوضها الجماهير فى مواجهة العمليات العسكرية التى يقوم بها العدو.

إن الحرب تتطلب أن يكون الثوريـون فى خطـوط المواجهة الأمامية لا التضحية بالجماهير وتركها تـواجـه العدو وحدها فيما يتخندق الثوريون فى المواقع الخلفية لكتابة الأوامر وإذاعة البيانات.

فهل يكون الثوريون أول من يرتدي الكاكـى وأول من تفوح منهم روائح زيوت التشحيم وأدخنة المصانع وأول من يجيد فنون الابداع / ؟! [7]

---

(7) جريدة الجماهيرية، 1982/9/24 م.

ديمقراطية العمل الثورى

تمثل المسألة التنظيمية محوراً هاماً من محاور العملية الثورية التاريخية، وتشكل مختبراً يومياً لايديولوجية تلك العملية ولجملة العلاقات بين قواها وكوادرها الثـوريـة وبين القواعد الشعبية التى تعمل وسطها تلك الكوادر، وتناضل معها لمواجهة كافة الاعداء القوميين والطبقيين..

وتحتل هذه المسألة موقعاً خاصـاً فى ظـل الظـروف الاستثنائية والمراحل المأزومة التى تتدخل فيها عـوامـل خارجية طارئة فى محاولة لتعطيل حركة العمل الثورى، وإرباك برامج إنجاز مهـام الحريـة والتقـدم، وإيقـاف عمليات الفرز الطبقى والسياسى تحت ستار الدعوة الى العمل الجبهوى أو الوحدة الوطنية لمواجهة العدو الأجنبى الذى يحتل جزءاً من الوطن أو يهدد باحتلاله. إنطلاقاً

من التحليل اليمينى المكرس لخدمة المصالح والامتيازات الاقطاعية والبرجوازية وحمايتها عن طريق محاولة تعطيل قوانين الصراع الطبقى وتفريغ الحركة الاستعمارية من مضامينها الطبقية وإخفاء التراث النضالى للشعب فى مواجهة القوى الطبقية المستبدة.. وحيث يعد تنازل الثورة عن تنظيمها الثورى وعن فلسفته وقواعده وطقوسه تنازلاً عن برنامجها التاريخى واستسلاماً لقوى اليمين المحلى ولاهداف الاستراتيجية المعادية التى يسعى ذلك اليمين لتنفيذها عبر شعارات (المصالحة الطبقية) تمهيداً (للمصالحة السياسية) التى هى بلغة الثورة / الاستسلام للعدو.

ومن هنا فإن الحفاظ على نقاء التنظيم الثورى وطهارته وتحصينه ضد كل الأمراض السياسية والاجتماعية التى تتفشى بشكل واسع فى مجتمعات العالم الثالث لا سيما منها تلك المتحولة بفعل الثورة، يشكل واحدة من أخطر وأكبر مهام مرحلة مواجهة الاستراتيجية الاستعمارية المعادية.. غير أن هذا لا يمكن له أن يتحقق أو يتأتى إلا عبر مراجعة نقدية تستهدف

البنية الهيكلية والفلسفية لذلك التنظيم وتستقرىء تجربته السابقة فى العمل الثوري ، وتقيس حجم علاقته بالجماهير ومردوداتها . .

ولعل أخطر قضايا المسألة التنظيمية هو ما يعرف بـ (ديمقراطية التنظيم) التى أسيء فهمها واستعمالها إلى الحد الذى خلق تياراً معادياً للديمقراطية من حيث هى مقوم أساسى من مقومات التنظيم الثورى وطرح الديكتاتورية والحديدية بديلاً لذلك . . فديمقراطية التنظيم لا تعنى فتح باب العضوية فيه دون قيد أو شرط ولا تعنى إسقاط معايير ومقاييس السلوك الثورى ولا نعنى الفوضى وعدم الانضباطية . .

فاللجان الثورية ليست تنظيماً يعتنق ايديولوجية فوضوية . .

وليست تنظيماً تجريبياً مهتماً بدراسة ظاهرة السلوك اللامقيد وتطوره وردود الأفعال الناشئة عنه . . .

ومناوأة القانون ليست موقفاً ايديولوجياً مطلقاً ، ذلك أن القانون من حيث هو قانون ليس صيغة استبدادية مطلقة وإنما فعالية اجتماعية تكتسب أداءها

الوظيفى وروحها الفلسفية من طبيعة التركيبة السياسية والطبقية للمجتمع الذى تعمل فيه وخصائص المرحلة التاريخية التى تجتازها حركة التطور الاجتماعى، ومن ثم فإن القانون ليس موضوعة هيجلية عليا.

والقياس التنظيمي ـ وإن كان يشكل ضرورة نظرية وتاريخية ـ إلا أنه لا يعنى الاستنساخ الكربونى، ذلك أن جماهيرية المجتمع وشعبية ديمقراطيته التى يراد قياس جماهيرية التنظيم وديمقراطيته عليها لا يمكن أن تؤدى إلى سقوط التنظيم الثورى فى مأزق العمل النقابى أو التجبيه السياسي بين قوى اجتماعية متنافرة ومتناقضة ومستهدف بعضها ضمن برنامج عمل هذا التنظيم.

وهذا المأزق الديمقراطى فى العمل الثورى كان واحداً من أهم محاور الخلاف بين قادة الحركة الشيوعية الروسية التى أدت الى حدوث انشقاقات رهيبة فى صفوف هذه الحركة قبل اندلاع الثورة فى روسيا حيث كان (لينين وبلخانوف) يتزعمان الدعوة الى ادلجة التنظيم فيما يدعو (مارتوف واكيموف) الى دمقرطة التنظيم واصفين الصيغة

التى يطرحها لينين وبلخانوف بأنها صيغة تآمرية تجعل الحزب قائداً والجماهير تابعاً. كما أنه كان واحداً من القضايا الهامة التى تناولتها الدراسة المقدمة من (كلبرنج هاوس) الى قسم المعلومات الفدرالى للعلوم والتكنولوجيا فى وزارة التجارة الامريكية بموجب الاتفاق بينها وبين وزارة الدفاع، حول التركيب التحتى للثورة فى فيتنام الجنوبية فى يونيه 1967 .

فاسقاط الضوابط السلوكيـة ، وهشـاشـة العلاقـات الداخلية ، ونمو الظواهر الانتهازيـة والشلليـة ، وغيـاب برنامج العمل والمهام اليومية المحددة، والغياب الكامل من الشارع، وبروز الثقافة الببغـاويـة وأسـاليـب التعليم التلقينى والتداخل بين العمل الثورى والعمـل البـوليسى المباحثى. هذه كلها ظواهر مرضية ناشئـة عـن غيـاب التربية الديمقراطية للكادر الثورى التى تصنع منه مناضلاً ومثقفـاً ثـوريـاً يمارس نشـاطـه الفكـرى والعضلى وسـط الجماهير دون تعـال أو تكبر ، وهـذا يعنى أن ديمقراطية التنظيم هى مسألة داخلية تتعلـق فى الاسـاس بهيكليته وبرامجه وفلسفة العلاقات بين قاعدته الافقية ،

وانها تتمثل فى ديمقراطيـة الحوار كـواحـدة مـن أهـم العادات الديمقراطية التى ينبغى أن يتجه جهد التنظيم الى تجذيرها فى حركته اليومية وديمقراطية الابداع وتشجيع روح المبادرة الفرديـة والجماعيـة التى ينبغـى أن تتركـز جميعها حول المفاهيم العملية التي تتكرس فى مواقع الانتاج والعمل لتخليص العمل الثورى من الثرثـرة والخطـابـة وليحـل الترس والفـأس محل سيجـارة الروثمان ومكبر الصوت ولتطهير المناضل الثورى من مشاعر البرجوازية الصغيرة التى تتهم الجماهير بالدونية والسوقية.

وهذا التنظيم الديمقراطى الذى يؤمن بالحوار ويمارس النقد الذاتى ويخوض معارك الانتاج والعمـل ويكـرس القيم الاشتراكية الجديدة ويصنع ابـداعـاتـه التقـدميـة المحررة من عقد الخوف والشوفينية هو وحده القادر على تأسيس علاقة ديمقراطية صحيحة بالجماهير تدفعها يومياً الى مواقع متقدمة وتؤكد إيمانها العميق بالثورة كحل حضارى لمشاكلها وأزماتها وأداة تاريخية لتحطيم كافة أشكال وأدوات الاستغلال والقمع.

وكما سبق فإن فتح باب العضوية وانعدام الفرز لا

يمكن بأى حال من الأحوال أن يضفى طابعاً ديمقراطياً على التنظيم طالما بقيت المثابات منتديات لهواة الشاهى أو شم نسيم البحر أو مرضى البطالة المقنعة، التى تتستر برداء المهام الثورية الخاصة والتبشير و... الخ!

فهل يبدأ حوارنا الديمقراطى ونقدنا الذاتى لحصيلة تجربة الأربع سنوات واضعين فى اعتبارنا هدفين أساسين:

• ألا يكون الحصار الاقتصادي مبرراً لافقار الجماهير الكادحة فيما تنعم الطبقات القديمة والجديدة بالرفاه الكامل. وان تكون حرية خبز الجماهير وجودته هى الشعار الذي يناضل الثوريون من أجل انتصاره لئلا يحقق الحصار هدفه الاستراتيجى فى استعداء الجماهير على الثورة.

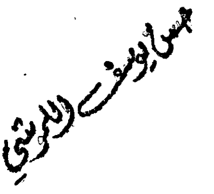
• ألا تكون المعركة القومية مبرراً لمهادنة القوى المحلية المعادية أو تأجيل استكمال البناء الاشتراكي وتحصين البناء الديمقراطى أو التراجع عن برنامج التحول نحو قيام الدولة الجماهيرية / دولة العرب النواة التى اصبح انجازها مهمة استراتيجية عاجلة.

هل يتخلص التحريض من المشروع الخطابي ويتحول الى مشروع انتاجي ؟!

هل تنتقل دورات التسييس والاعداد العقائدى الى مشاريع انتاج أو خدمات تطوعية للجماهير ؟!

هل يكون النموذج المنتج / هـو القـدوة فى المهـارة والسلوك ؟!

(هل . . . .) ؟ ![8]



---

(8) جريدة الجماهيرية ، 1982/9/17 م .

العمل الثورى
بين (المعلمين) و (المناضلين)

قبل أن تكرس صحيفة الجماهيرية اعـدادهـا طيلـة الشهور الثلاثة الأخيرة لقضية الغزو ومـا أفـرزتـه مـن متغيرات جديدة على ساحة الاحداث العربية والعـالميـة والمحت إليه مـن مـؤشرات عـن المرحلـة القـادمـة فى الاستراتيجية الامبريالية بالمنطقة التى ارتكزت حركتها الراهنة على محورين :

● محور تصفيـــة القـــوى الوطنيـــة والتقـــدميـــة بالمنطقة / وهو محور المخطط المتكامل الذى بدأ بـاطلاق بالونة الاختبار الاولى ممثلة فى إخراج المة ومة الفلسطينية من لبنان. وهو الحدث الذى لم يسجل إلا نسبة ضئيلة من الاحتجاجات الرسمية فى ظل لامبـالاة شبه مطلقة من الشارع وتواطؤ يكاد يكون تاماً بين المؤسسة العربية

الحاكمة وبين قوى المعارضة العربية ـ معتدليها ومتطرفيها ـ.

• محور التحالف العلنى بين الامبريالية الامريكية وبين القوى اليمينية العربية / وهو التحالف الذى اعتمد على إعادة الاعتبار للقوى الحليفة القديمة ممثلة فى اختيار تونس مقراً جديداً لقيادة المقاومة الفلسطينية، مثلما اعتمد على إطلاق قواه السياسية الجديدة رسمياً ممثلة فى إعلان تنصيب بشير الجميل رئيساً للجمهورية بلبنان. بعد أن اثبتت حرب لبنان ورقية القوى الرسمية المتطرفة وإمكان الضغط عليها بواسطة مؤسسة البترودولار السعودى مؤكدة بذلك أن (الحقبة السعودية) ـ كما يسميها منظروها ـ هى المعادل التاريخى والموضوعى العربى لمرحلة دخول رأس المال الصناعى الغربى طوره الامبريالى.

قبل ذلك كانت صحيفة الجماهيرية قد رصدت ظاهرة خطيرة ـ خلال أسبوعين متتالين، وعبر رسالتين من قارئين من منطقتين مختلفتين فى الجماهيرية، وحول تفاصيل ليست واحدة ـ تمس قضية مستقبل الديمقراطية

وعلاقة التنظيم الثورى بقواعده الشعبية. وتمثلت تلك الظاهرة فى إطلاق شعار العودة الى مرحلة ما قبل فصل السلطة عن الثورة والمطالبة بإعادة العسكر من خلال إعادة مجلس قيادة الثورة وإحلال الشرطة العسكرية ـ أو البوليس الحربى ـ محل التنظيم الثورى.

والخطورة التى شكلتها ـ وتشكلها ـ هذه الظاهرة ليست فقط فى البديل اللاديمقراطى الذى تطرحه، وإنما فى جملة الظروف والوقائع التى رشحتها لتكون مبرراً لاطلاق تلك الدعوة وإحلال ذلك البديل. حيث اعتبرت الاهمال والتسيب الادارى والممارسات الاقتصادية والسياسية الخاطئة التى افرزتها حركة الادارة الشعبية وعدم تصدى اللجان الثورية بمهمة المواجهة اليومية لها عبر أوساطها الجماهيرية / اعتبرت ذلك سبباً كافياً لعدم جدوى الديمقراطية وفشل التنظيم الثورى ومن ثم فإنه لا مفر من العسكر (!).

واذا كانت الثقافة الانتهازية التى تعتنقها البرجوازية الصغيرة هى التى تطرح (المشروع الانقلابى) حلاً بديلاً عن النضال الديمقراطى والاشتراكى لأوسع الجماهير فى

مكابدتها لواقعها الصعب من أجل غدها السعيد فإن طفولة الوعى واعتماد الموقف الايديولوجى لمواطنى العالم الثالث على عواطفهم البدائية هو المسؤول عن أزمة التناقض التى كثيراً ما تعانيها مواقفهم الثورية والتى توظفهم ـ بقصد أو بدونه فى خدمة برامج ومشاريع القوى الطبقية والفاشية المعادية لهم والموجهة فى الاساس لسلب وتصفية حقوقهم الديمقراطية والاجتماعية المشروعة ذلك أن عودة العسكر ـ والمسألة هنا مسألة ايديولوجية وليست شخصانية تتعلق بالاسم الفلانى أو الرتبة العلانية ـ تشكل فيما تشكل ضرباً مباشراً لكل المكاسب الديمقراطية التى حققتها الجماهير باستلامها لسلطتها وتعنى انتصار الفاشية من حيث أن أى مؤسسة غير جماهيرية هى مؤسسة غير ديمقراطية ، وبالتالى فهى مؤسسة فاشية بالضرورة ومن ثم فإن عودة العسكر لن تعالج الديمقراطية بمزيد من الديمقراطية ولن تعالج الاشتراكية بمزيد من التقنين والتنظيم الاشتراكى ذلك أن النقيض يخلق نقيضه الجدلى عبر الحركة الثورية للتاريخ لكنه لا يتصالح معه لأن منطق الصراع الذى يحكم علاقتهما يقول

بأن المصالحة ليست سوى شكل مهـذب لهزيمة النقيـض أمام نقيضه (!).

وتطرح هذه الظاهرة فيما تطرح ظاهرة (الانفصام الايديولوجي) التي يعانيها بعض الثوريين إذ لا يعدو مشروع الثقافة الثورية الايديولوجية بالنسبة لهم عن كونه مجرد مشروع (بروتوكولي ترف) والمجتمع الثـوري مجرد (مجتمع يـوتـوبي) والمنـاضـل الثـوري مجرد مـوظـف بيروقراطي او مثقف عصابي والنظـريـة الثـوريـة مجرد (عجينة طينية قابلة للتشكيل حسب الأهواء والأمزجة والظروف والمقاسات والاحجام) فالديمقراطيـة شعـار يسقط عند أول صفارة انذار قبلي أو شللي أو بوليسي، والاشتراكية طريـق ضيـق لا يتسـع لسيـارة البي أم أو فسحات حديقة الدوبليكس، والعروبة يـافطـة خشبيـة سرعان ما يلتهمها لهيب برميل بترول قابـل للتسـويـق بالعملة الصعبة..

إن مواجهة هذه الظاهرة ـ بما تكشف عنه من خلل في علاقة التنظيم باعضائه ومـن عـدم سـواء في علاقـة الاعضاء انفسهم بمعتقدهم الثوري ـ تتطلب ان يضع

التنظيم ضمن مهامه التربوية والتنظيمية مهمة خلق (مناضل ثورى) يتصدى بفعله لا بكلامه وبمعاناته وتضحياته لا بامتيازاته للمهام الثورية اليومية وسط الجماهير بمبادراته الخلاقة وابداعاته الانتاجية وسلوكه الاشتراكى وحواره الديمقراطى ولعل الظروف التاريخية التى رافقت ولادة هذا التنظيم - كواحد من التنظيمات الثورية القلائل التى ولدت بعد انتصار الثورة ولم تسهم اسهاماً عملياً فى صنع الثورة وانتصارها - هى التى تفرض حتمية أن يكون (المناضل الثورى) بديلاً عن (المعلم الثورى)، ليس فقط لأن الجماهير هى المعلم الأكبر للنضال والثورة التى نستلهم تراثها وتاريخها وابداعاتها المتواصلة، وإنما لأن المهام اليومية العملية التي يتطلبها النضال الثورى هى المحك الحقيقى لاختيار - الولاءات والانتماءات ولتربية الكوادر - الثورية على مواجهة اعدائها والتصدي لهم للدفاع عن مكتسبات الجماهير وحقوقها ومصالحها. ويتم بذلك تحصين التنظيم ضد نمو الظواهر الانتهازية والبيروقراطية واحتمالات احتواء حركته وتدجينها من قبل الطبقات القديمة

والجديدة والقوى الفاشية وسائر التشكيلات الأخرى الاجتماعية والسياسية المعادية للجماهير.

خاصة وأن هذه الظاهرة قد تزامنت مع انعقاد مؤتمري (المرج وطرابلس المركز) اللذين أكدا من خلال (الشباب والعجائز أمثال عمي خليفة، عمي بشير، خالتي خيرية، الحاجة خدوجة... الخ) أن لا قيمة للوعي الديمقراطي أو الاشتراكي ما لم يكن مؤسساً على المعاناة اليومية للقهر والحاجة. وأن ارستقراطية الوعي النخبوي أو الطليعي قد سقطت واسقطت نماذجها مفسحة الطريق أمام وعي الجماهير الكادحة التي تصوغ من معاناتها لغتها وأدوات نضالها وترسم صورة غدها المحرر من مخالب الاقطاع وسخرة الرساميل واعقاب سجائر الفاشية ونظارات الأساتذة المثقفين وجلابيب الدراويش.

– فهل تنجح اللجان الثورية ـ هذه المرة ـ في تنفيذ مهمة اعادة تنظيم نفسها وفق برنامج عمل يحقق الشعار الشهير (الثوري اول من يضحي وآخر من يستفيد)؟!

– وهل تنجح اللجان في خلق (مناضليها الثوريين)

الذين يصنعون القدوة فى مواقع العمل والانتاج خاصة ونحن لا نزال نخوض معركة الحصـار الاقتصـادى ولا نزال نرفع شعار قلب المجتمع الاستهلاكى الى مجتمع انتاجى، وهل يمكن أن تكون مبادرة (العشر دينارات) خطوة على الطريق الصحيح؟!

– وهل نبدأ ـ عملياً وعلمياً ـ تأسيس مشروعنا الثقافى الديمقراطى الاشتراكى / الحل التـاريخى لأزمـة (الانفصال الايديولوجى) الذى يخلص العمل الثـورى من ارتباكه ومن مشروعه الخطابى / والخطابية هى السمة الأكثر بروزاً فى التجربـة السيـاسيـة والثـوريـة للعـالم الثالث / ؟![9]

(9) جريدة الجماهيرية، 1982/8/25 م.

الثقافة القديمة والأوهام

ويبدو أن الأوهام التى تنسجها المصالح الطبقية والسياسية حول نفسها وحول القوى الاجتماعية المعبرة عنها لتتمكن ـ من توفير حد أدنى من ضمانات الاستمرار وأحيانا التعايش السلمى مع المتغيرات التى تحدثها حتى الحركة الميكانيكية الاعتيادية فى المجتمع الذى تنتمى اليه وتفعل فى نطاقه الجغرافى والتاريخى.

يبدو أن هذه الأوهام ليست خاصية من خصائص تلك القوى الاجتماعية المناهضة بطبيعتها لحقائق الوجود الاجتماعى ونواميسه التى تؤكد فى مقدمة ما تؤكد على التغير باعتباره شرطا ملازما للحياة نفسها، ولكنها خاصية من خصائص الأوضاع والمركبات والوجودات الاستثنائية والطارئة التى تفرضها الظروف المرحلية

وفترات الانتقال التاريخى من الوعى الخاص المحدود الى الوعى العام غير المحدود.

والمثقفون وهم لا يعبرون عن قوى انتاجية ذات مصالح مادية محددة، ولا يمكن الادعاء بأنهم يشغلون حيزا ما في الفراغ الاجتماعى، ولا يعبرون ـ ايضاً ـ عن أى تطور تاريخى حادث فى مركب اجتماعى معين وقائم باستقلاليته البنائية والوظيفية ضمن البناء الاجتماعى العام، ولا يتضمن وجودهم القائم أى مشروع تخلق طبقى جديد ـ او حتى فئوى ـ . على اعتبار أن مرتكز (الظاهرة الاجتماعية) التى تعبر عنهم هو (الوعى) وليس (المصلحة). هؤلاء المثقفون ايضا ـ يمارسون اللعبة ذاتها... لعبة نسج الأوهام التى بدورها تسهم فى اطالة عمر وجودهم وتضفى عليه شرعة ما قد تتجاوز فى كثير من الاحيان شرعية (الدور) أو الرسالة التى ارتأت ايديولوجيا ما انهم أكفأ من يستطيع تأديتها الى شرعية (المركب الاجتماعى) الذى يترتب افراده على تلك الرسالة ـ والذى قد يتألف من كم من المصالح والرؤى المختلفة والمتناقضة.. وإن كانت لا تصل الى حد

التناقض الجذرى المتفجر -.

وإذا كانت البرجوازية الاوروبية الام - على سبيل المثال - قد نسجت وهم الارتقاء بالوجود الاجتماعى من شكله السياسى البدائـى ممثلا فى الدويلات الاقطـاعيـة المفككة الى الشكل السيـاسى الحديـث ممثلا فى الدولـة القومية الواحدة، لتضفى شرعية تاريخية على مصالحها التجارية ولتلحق صفـة (الوطنيـة) بـاسمهـا فتغـدو (البرجوازية الوطنية) ويصبح الخروج عليها هو الخروج على الوطن ذاته، وحاولت ان تعطل تلك العملية - اى عملية الارتقاء - وان تمططها الى اقصى حد ممكن يسمح لها بعمر اطول ويمكنها من خلال تركيز وجودها وعدم استنزافها فى معارك الصراع الاجتماعى سواء مع القوى القـديمة كـالاقطـاع أو القـوى الجديـدة المتنـاميـة كالصناعيين.. من احتواء حركة التطور التاريخى ذاتها لافراز قوى واشكال جـديـدة تستـوعـب وتستجيـب لحاجات التطور عبر منظومة العلاقات ذاتها التى تخدمها وتحافظ على مصالحها. وهذا ما يعبر عنه ظهور القوى الامبريالية الجديدة التى وسعت شعار (الدولة القومية)

الذى كان يعبر عن المصالح المحـدودة للبرجـوازيـة.. ليصبح (الدولة الكوزموبوليتانية) المخلصة للمصـالـح الرأسمالية غير المحدودة.

فإن المثقفين ـ أو اصحاب الياقات البيضاء ـ يحاولون اعادة صياغة (التحالف القديم مع ذوى الياقات الزرقاء) ليصبح تحالفا ابديـا وليتحـول الى شكـل مـن أشكـال الوصاية على الجماهير ـ وأداة نزع الفتيل من قنبلة (الفعل الجماهيري) الموقوتة. وتعطيهم فترات الانتكاس السياسى والمحن والازمات فرصا نادرة للقيام بذلك اعتماداً على تحليلاتهم وتفسيراتهم الجاهزة التى تـدور جميعهـا حـول اثبـات مسؤوليـة الجماهير عما حـدث وان قصـورهـا وطفولتها ومراهقتها هى التى أوصلت الأمور الى ما هى عليه. ومن هنا تبـدأ عمليـة نسـج الاوهـام وحيـاكـة الخيالات حول الزعامات المثقفة والمثقف المنقذ والطليعة المثقفة التى على الجماهير ان تنقاد اليها انقيادا اعمى وان تضبط بوصلة حركتها على نبضها ومشاعرها المرهفة وان تنتظر منها (الباترون) الذى تفصل عليه فعلها وانفعالها.

وهذه صحيفة الجماهيرية فى عددها رقم (109) تطالعنا

بوهم من الأوهام التي ينسجها أحد المثقفين حول العلاقة بين المثقف والجماهير والتي يبدو فيها انحيازه ضد الجماهير واضحا من خلال الشعار الذى رفعه بأن هذا ـ ويقصد الوطن العربى ـ « وطن الجماهير التى لا نحترمها لأنها لا تحترم نفسها » ولنتوقف كثيراً عند الابعاد والتساؤلات التى تثيرها هذه الصيغة التى يبدو اعتناق الكاتب لها ـ المرشحة لفهم علاقة المثقف بالجماهير!

ان التحالف الثورى بين المثقفين وبين الطبقات الاجتماعية المقهورة ـ الذى نادى به اليسار التقليدى ـ هو تحالف على (الوعى النظرى) وليس على (المصلحة). وهذا الوعى ـ وكما يبدو من تسميته ـ وعى مكتسب بواسطة العلاقة بين الفرد وبين التراث النضالى من خلال ادبياته ووثائقه وليس بين الفرد وبين التجربة النضالية مباشرة من خلال الفعل والموقف. فالعامل يطالب رب العمل فى المصنع بتحسين أجره.. والفلاح فى المزرعة يطالب المالك الاقطاعى بايجاد مسكن منفصل له ولأسرته عن حظيرة الابقار.. والبوليس فى الحانة يقبض على المواطنين بتهمة التآمر على نظام الحكم والطعن فى

شرعيته، والمثقف يراقب ذلك ويرصده ثم عليه أن يقول فيه رأياً ما أو يلجأ الى مكتبته ليعثر فى كتاب ما على تفسير لذلك. ان هذا التحالف يضع علاقة المثقف بالجماهير بين رهانين أو خيارين.

- رهان على أن تفعل الجماهير فينفعل المثقف،
- أو رهان على أن تنفعل الجماهير حيث يفعل المثقف.

أى أنه يفترض دائما مسافة ما بين الجماهير وبين المثقف ـ مع ملاحظة أن الجماهير هنا لا تزيد ولا تخرج عن كونها جماهير الرعاع والسوقة والغوغاء والديماغوجية! ـ وهذه المسافة باستمرار هى التى تعطي للمثقف حق الريادة وتقدم الصفوف والطوابير الطويلة.

ولقد ساهم الاتجاه نحو تأسيس السلوك ـ أى اخضاع السلوك للتقنين المؤسسي ـ فى تكريس تلك الأوهام والخيالات وخلق بعض المصالح الانانية التى اصبح نضال المثقف ينصرف الى الدفاع عنها وحمايتها اكثر من نضاله من أجل مصالح الجماهير التى أوجدت

تلك المؤسسات باعتبارها أدوات لنضالها وليست بديلا عنها . ولا يمكن هنا اسقـاط دور العنـاصر الانتهـازيـة والمدسوسة فى تأكيد هذا الاتجاه وتبريره تحت الشعار اليمينى اياه (ان الجماهير اقل وعياً بمصالحها الحقيقية). ولعـب هـذا الاتجاه دوراً أسـاسيـاً فى خيـانـة المثقفين للجماهير وتحولهم الى قوى استبدادية جديدة لا سيما وأن اغلبهم من البرجوازية الصغيرة المتطلعة أو البرجـوازيـة الكبيرة التى خانت وعيها الطبقـى المعلـن فيما اقتنصـت مصالحها الحقيقية القديمة اقتناصا لأول فرصة مواتية.

واستطاعت المؤسسات الطليعية بذلك أن تحيل المسافة من وهم الى واقع عينى، وأن تحصن مثقفيها بواسطة (وهم الوعى المتقدم والمتجاوز) من كل عمليات الادانة والتجريم والنقد والمساءلة الاعتيادية.. وان يكون نصيب الجماهير (الجاهلة، المغفلة، الساذجة الغبية) هـو ذلـك الكم الهائل من الأخطاء ولا سيما فى المراحل الصعبة حيث تتكاثر الهزائم العسكريـة وتشتـد الازمـات السيـاسيـة والاقتصادية ويصبح الوطن مهدداً ومحاصراً ومستهدفاً!

وازاء هذه العلاقة المتردية بين المثقف والجماهير يصبح

السؤال عن جذور المثقف وموقفه الطبقي وانحيازه الايديولوجي أكثر من مشروع، لأن هذا السؤال لا يقول لنا من هو المثقف فحسب وانما يمتد ليكشف عن الدور الذي يلعبه السائد في تشكيل قوى التغير والقوى المساعدة لها وعن الامكانات الهائلة للكمون والابدال والتأقلم التاريخي التي يملكها ذلك السائد ويواجه بها - بحكم انتهازيته الواعية المجيَّرة لخدمة مصالحه الحقيقية - حركة التغيير وبرامجها. -

ان المثقف ليس فكرة مثالية اخترعها هيجل، وليس أيضاً الانسان السوبر الذي تصوره نيتشه، ولا يمكن ايضا أن يكون انسان ابن عربي الكامل، ولا انسان الفيوضات في الفلسفة الاسلامية، ولا انسان المشروع الكهنوتي في برنامج سارتر الوجودي..

ولكنه ربما يكون..

- الانسان البرجماتي (!)
- أو انسان الأنا الاعلى الفرويدية (!)
- أو انسان حساب اللذات النبتامية (!)
- وربما يكون انسان الكتلة التاريخية الغارودية،

– وربما يكون الانسان التروتسكى المتمرد .

– وربما يكون انسان الثالوث الجماهيرى .

– وربما لا يكون كل هؤلاء .. وكل هؤلاء ! !

وانى احيل السؤال الى الكاتب نفسه ليقول لنا من هو مثقفه وما هى علاقته بالجماهير (التى يـرى انها ليسـت جديرة بالاحترام) .. ؟ ![10] .

---

(10) جريدة الجماهيرية صيف 1982 م .

التقنين والثقافة الجديدة

• واحد •

هل يمكن ان تكون الثورة فقـط النسـف والتـدمير والتقويض والالغاء ؟ !

هل يمكن ان تكون الثورة هى اعادة ترميم القائم أو صيانته مع الابقاء على قواعده. اسسه. شبكة العلاقات التى تنتظم فيها أجزاؤه ـ مع اجراء تعديل طفيف على هذه الشبكة كأن يعاد النظر فى سمك خطوطها ـ ونوعية مادتها واتجاهاتها وأرقامها ـ هياكله. تـوزيـع خـارطـة التناقضات والاشكاليات ؟ !

هل يمكن ان تكون الثورة مقامرة أو مغامرة أو حتى مراهنة غير مأمونة على خبز الغد وعافية الصغار ـ وبعض

التفاصيل الأخرى التي تتعلق بذمة التاريخ وسمعة الفكر وثقة الجماهير فى النصوص النظرية والحلول والمناهج؟!

عندما نتفق أن الثورة هى الفرح الذى يسميه طفلى علبة البسكويت الجميل اللذيذ الوفير، وتسميه الزوجة الفستان البسيط المزدهر، ويسميه صديقى القميص أو السترة الانيقة وعلبة الدخان غير المغشوش، وتسميه الجارات وجبة الغذاء الصحى المتنوع والسهرة التليفزيونية المريحة، ويسميه مدرس الرسم موضوع التلاميذ المفضل.

وعندما نتفق أن الثورة هى المشروع الحضارى الجديد الذي لا يكتفى بخلخلة الأوضاع القائمة وهز جذع النخلة ليساقط رطبها دون عناء أو مشقة، وإنما يرمى - وبالدرجة الاولى - الى قلب ذلك القائم رأساً على عقب ليلقى به في مستنقع المياه الآسنة ومن ثم يحرث الارض الجديدة لينبت شجيراته اليانعة الثمرة ليطعم الجوعى، ويجمل منظر الحياة، ويلهب خيال الشعراء والفنانين، ويقى العراة وهج الشمس ولسعات البرد القارص، ويترك بصماته الكبيرة على وجه التاريخ..

عندما نتفق أن الحوار هو بداية تأسيس الرؤية

الناضجة الواعية التى تتجه نحو اعادة تصحيح المسارات وضبط علاقة المسار بالخطة أو البرنامج المحدد له، وان الابداع الحقيقى - حتى على صعيد علاقة مواطن ما بمواطن آخر أو علاقة ذلك المواطن بالأشياء من حوله - لا يمكن له أن يزدهر ويتنفس الا فى ظل الحوار الديمقراطى المبنى على احترام مبدأ أن كلا يحمل الوطن فى قلبه - وأن هذه الكل ليست المطلقة بكلية وانما هى كل الجماهير الواقع عليها فعل العسف والاضطهاد، والمدعوة الى امتشاق فؤوسها واظافرها وقطع الخشب ومشاعرها المتدفقة لتحطيم ذلك الواقع ونحت مستقبلها الذى تعتنقه بقدر اعتناقه لها، ومن ثم الى الجلوس أو الاتكاء على مقعد مريح واحتساء كوب شاهى والتغزل بسكينة الليل..

وعندما نتفق - ايضا - ان الحوار هو الحوار المستهدف، وليس حوار الطرشان أو جدل المتناقضات الذى هو الصراع والذى نحاول مجاملته فنسميه حوارا..! عند ذلك يمكننا الادعاء بأننا قد نبدأ.

• اثنان •

هل نحن بحاجة الى أن نطرح سؤالا مدرسيا عن: ما هى الاشتراكية ؟!

وهل يمكن اعتبار ـ سؤال ـ من هذا النوع ـ سؤالا مدرسيا (تعليميا تلقينيا) بالفعل ؟!

وهل ثمة اتفاق ما حول التعريف العملى الاجـرائـى للاشتراكية يعادل تعريفها النظرى ؟!

لا أحد يفلسف الاشتراكية نظريا بأنها ليست تدمير مجتمع الاستغلال والعلاقات الظالمة، ولا احـد نظـريـا يدعى بأن ثمة اعتراضا على شعارات (البيت لساكنه) و(شركـاء لا اجـراء) و(فى الحاجـة تكمـن الحريـة) و(الخدم هم رقيق العصر الحديث) و(الذى لا ينتج لا يستهلك).

والكل يرفعون قبضاتهم معلنين اعتناقهم ـ على طريقة الصوت والصورة ـ للحل الاشتراكى، والكل ـ ايضا ـ يتسابقون لهاثا على التفنن فى صياغة الهتافات الاشتراكية المعادية للطبقيـة والاستغلال والبرجـوازيـة والاقطـاع والطفيليين والمعوقين والاستهلاك و.. و.. الخ.

وقدمت نماذج المجتمع البرجوازى المعادى للمحاكمات الثورية العلنية فى اطار تنفيذ برنامج الملتقى الثالث الذى حدد مهامه الاشتراكية فى مرحلتى (قلب المجتمع الاستهلاكى الى مجتمع انتاجى) و(التصفية الجسدية هى المرحلة الاخيرة فى جدلية الصراع اذا لم تنه عمليات التجريد من الاسلحة الاقتصادية والسياسية فعاليات القوى المعادية).

فهل نستطيع ان ندعى أن المجتمع الاشتراكى قد اقيم فعلا واننا استطعنا ان نحرق كل المراحل وان نتحول من النمط البرجورعوى / البترو دولارى الى النمط الاشتراكى الانتاجى مثلما امكن التحول - عبر خلق المؤسسات - من النمط العشائرى الى النمط الديمقراطى الشعبى سياسيا - وان كانت ثمة تحفظات تتعلق ايضا بمحاولات ارباك هذا التحول والتشويش عليه بفعل سيادة ثقافة الدولة العشائرية المتصالحة مع المؤسسات السياسية اليمينية المعاصرة مثل البوليس! - ؟!

ان الجماهيرية من حيث هى مشروع حضارى بديل وجديد يطرح نفسه ثوريا على هذا المجتمع المتخلف

ثقافيا ـ والتخلف الثقافى هنا هـو المرادف الموضـوعـى والسسيولوجى لمفاهيم وظاهرة الثقافة اليمينية كما تصطلح عليها التحليلات الايديولوجية ـ تواجه فى مقدمة ما تواجه ضرورة الصدام اليومى المباشر مع ظاهرة التخلف الثقافى تلك التى تعبر عن نفسها فى شكل جملة الآداب العامة المرعية بحكم العرف أو القانون الرسمي وسلم القيم الاجتماعيـة التى تحدد هـرم التشكيلـة المرتبيـة وشروط الدونية والعلوية وضرورتها كقيمة اجتماعية ثابتة ومطلقة.

وهذه التشكيلة هى التى تحدد السلوك الفردى والعام على اعتبار ـ انها هى التى تملك مشروعية اصدار الحكم الاخلاقى بالعيب او عدمه ـ والتى عندما تُقرأ دينيا تصبح هي الحلال والحرام، وقانوناً هي الجريمة والبراءة..

ومن هنا فإن تجريم (التاجر) ـ كنموذج برجوازى معاد للجماهير ـ ايديولوجيا ليس كـافيـا لأن يعتنـق المواطن فكرة التجريم فى سلوكه اليومى ذلك ان مخزونه الثقافى (التربوى والتعليمى) يحيله الى خانة اخرى نقيضة (فالنبي ـ يقول التاريخ وكتب الدين ـ كان تاجراً، والآداب العامة ترى أن التاجر مواطنا صالحا). وطرح

(السوق المجمع) على أنه البديل الاشتراكي الانتاجي لا يمكن ان يقنع المواطن ـ او حتى يشعره ـ بأنه فعلا ذلك البديل المأمول، فالسلع الاستهلاكيـة التي كـان يبيعهـا التاجر هي نفس السلع الاستهلاكية التي يبيعها السوق المجمع ـ وحتى النوعي ـ والعاملون في السوق موظفون بيروقراطيون يتقاضون رواتبهم عند نهاية كل شهر من الخزينة العامة.. وليست هنالك قيمة تقديرية من أي نوع يمكن للمواطن ان يحصل عليها نتيجة تعامله مع السوق الاشتراكي، وليس هنالك أي شكل من أشكال التمييز اللهم الا سعر السلعة ـ وهذه قيمة تجارية استهلاكية ليس الا ـ ..!

• ثلاثة •

هذه ليست دعوة للارتداد عـن الاشتراكيـة ـ على الاقل ـ لأن الجماهير عبر مؤتمراتها الشعبية أقرت الحل الاشتراكي.

وهي ـ ايضا ـ ليست محاولة للترويج لفكرة عودة التجارة الخاصة ـ كما قـد يفسرهـا انصـاف الثـوريين

والجهلة من حملة المباخر وكتبة التقارير المرتعشة..

انها محاولة للتساؤل عما إذا كان اختصار ـ المسافة بين الحل النظري والممارسة الاجرائية اليومية يمكن فعلا ان يحققه التقنين وأن (التقنين الذى ندعو له بالاضافة الى ما يطرحه من تغير جذرى فى أشكال ومحتوى القوانين التقليدية فإنه بما يحمله من مضمون ثوري ـ وانطلاقا من أن المتناقضات لا تلتقى الا فى حلبة الصراع (سينفجر صراعا بينه وبين الثقافة اليمينية التى تحاول أن تسود فى المجتمع.. وهنا سيحدد الفعل الثورى ومدى انتشاره: من هو المنتصر!!) (*). وهذا لا يعني رفع شعار (الثورة مستمرة) ـ بمفاهيمه الكلاسيكية التي تحاول مدّ عمر بعض المصالح والقوى الانتهازية المستفيدة من الشرعية الثورية غير المنظمة وغير المحددة المعروفة ـ، وانما يعني أن تطرح الثورة (ثقافتها الجديدة) فى مواجهة متكافئة مع (الثقافة اليمينية) بأن..

(*) زاهية محمد على / متآمرون لكنهم أبرياء صحيفة الجماهيرية، العدد 131 ص 17.

- تطرح اهتمامات جديدة للمواطن تدخله عصر الاشتراكية وتخرجه من عصر الاهتمام بوجبة الغذاء التي يتصدرها لحم الخروف الوطني فقط لا غير!

- تقيم مؤسسات اشتراكية انتاجية حقيقية بديلة لمؤسسات الاستهلاك.

- تنجز برنامجا عمليا لصيقا بالجماهير يحقق شعار (الثوري اول من يضحي وآخر من يستفيد).

- تؤكد ان الثوري هو قدوة المهارة والسلوك (كما تقول البطاقة الخضراء) ومعتنق القيم الجديدة الذي لا يقدم أوراق اعتماده للمجتمع القديم بواسطة العُقَد أو البي. أم. أو قدرته على اتهام فلان أو علان..

• أربعة •

هناك قيمة أساسية في الايديولوجية الجماهيرية هي أن:

(الجماهير هي وحدها المقدسة).

وليس هناك أي بديل آخر يستحق التقديس حتى وان كانت (الضّرورات تدعو الى ايجاد قوانين

مقدسة)[*] وإلا تحولت الثورة الى مؤسسة تعسفية جامدة خاصة وان القانون باستمـرار ـ رغـم ضرورتـه لقيـام التعاقد الاجتماعى بين الافراد والمؤسسات ـ هو العدو الأول لحرية الانسان وألقه وابداعاته [11].

(*) نفس المقال السابق.

(11) جريدة الجماهيرية، 1982/11/26 م.

تخلف ثقافى أم تناقض؟

واحد . واحد

هذه المرة سوف لن اقف على الباب أتسول نظرة رضا واشهر ورقة الاتفاق لنمهرها بالخط الكوفى العتيق ولن اقول هيا دعونا نتفق .

سأقول فقط دعونا نقرأ جيداً هذه الصورة المرتقبة .

● مواطن سمين مترهل اصفر .

ماذا عسى القانون الاشتراكى ان يفعل .. حياله !!

هل يقترح عليه شرطى المرور مثلا عدم الخروج للشارع لأن بطنه السمين تغتصب مساحة ما من ممر المشاة المخصص للأخوة المواطنين المصابين بالانيميا !

● مواطن يقود حمارة 737 ★ ماذا عسى القانون

الاشتراكي ان يقترح عليه! هل يقترح عليه أن يسمى الحمارة ارنبا مثلا أو سلحفاة.

او يلقى عليه القبض بتهمة انه لم يُركِّب للحمارة بردعة او ان بوقها لا يشبه النهيق!

ويحدث فِي الخفاء ـ وفي مقابل ذلك ـ ان يحلم شرطى المرور ـ مثلا ـ وان تصير له بطن تنطح بطن ذلك البرجوازى السمين. وان يحتفظ القانون الاشتراكى فى حافظة حراسه ـ كما يحلو لفلاسفة اليونان ان يقولوا عن بعض مهام العقل ـ بصور كبيرة ملونة للحمير الألمانية من 225 الى 737 «كوبيه»!!

ويحدث فى الخفاء أيضاً ان يتعرض القانون الاشتراكى ـ بمفهومه الجنائى والتشريعى ـ لعمليات التأويل والتحايل والتعطيل والارجاء والاحالة والتعديل وربما حتى الالغاء!

اثنان. اثنان

يبدو ان الاختلاف الجوهرى والأساسى هو فى كيف نعرف (الثقافة)؟! ومن ثم فى كيف نحدد موقعها فى

البناء الاجتماعى وسلم القيم العامة ؟! ولا شك ان مدارس علم الاجتماع البرجوازى المنتمية للايديولوجية الامبريالية والموظفة لخدمة مصالحها هى التى تتجه نحو تعويم وتجريد كثير من المفاهيم والظواهر الاجتماعية فى اطار منهجها البرجماتى الذى يعمل مثلا على الطبطبة على التناقضات وانكار حقيقة الصراع ـ سواء كان طبقيا أم قوميا ـ واعادة طرح جملة الحقائق الاجتماعية التى تتفاعل فى ظل ذلك الواقع على أساس اصطناعى جدى يزيف الوعى الثورى للجماهير ويسلبها أهم أدواتها فى مواجهة القوة المعادية لحريتها وتقدمها.

التناقض بين ثقافة الشارع الوطنى وبين ثقافة القوة القمعية المسيطرة يدعى علم الاجتماع البرجوازى أنه (تخلف ثقافى) مصوراً النضالات اليومية للجماهير ضد الاستغلال والقمع والارهاب الدموى على أنها ممارسات غوغائية مصدرها الجهل والأمية وضيق الأفق ومحدودية الثقافة ـ بمفهومها الأكاديمى ـ مضيفا على ثقافة القوى القامعة طابعا معياريا نمطيا يكرسها نموذجا ومثالا للحكم الاخلاقى ـ بمفهومه القمعى ـ وتأسيسا على ذلك فإن

القراءة الاولى لمدلولات الفقرة التالية:

(وما سبق لا يعنى تأطير الاشتراكية فى شكلها المادى فقط، ولكن فى ظل التخلف الثقافى وسيادة مفاهيم الثقافة القديمة فإننا لا نستطيع ان نطلب من المواطن البسيط أبعد من هذه النظرة الضيقة والمحدودة جداً) تضطرنا الى الوقوف عند أكثر من اشارة استفهام وتعجب.

- هل ترشيح المواطن البسيط للبيت الشعبي كقيمة ثقافية مناهضة يمكن ان يفسر بأنه تخلف ثقافى؟!

- هل ترشيح عمتى «سدينة» للقربة والفرن كقيمة ثقافية مناهضة للقفازات الحريرية والمانيكير، يمكن أن يفسر بأنه تخلف ثقافى؟!

ولأننا ازاء مفاهيم اجتماعية خالصة فلا مفر من العودة لحياتنا بحثا عن: من اين تستمد هذه المفاهيم مصداقيتها وتحديدا لصورها وأبعادها الواقعية الفاعلة فى حياتنا اليومية.

ولأن هذه المفاهيم التي نحن ازاءها هى اخطر نتاجات علم الاجتماع البرجوازى، فإننى اقول: انتبهوا يبدأ اجهاض الثورة بعقلنة قواها الحية فى معلبات الفكر

الامريكى السكسونى الذى يحمل مسطرة ومقصا ويحاول اعادة تفصيل الحياة وفق الباترون الامبريالى!

ثلاثة . ثلاثة

يقول عبد الله العروى فى أحدث بحوثه المنشورة المعنون باسم (اشكالية الدولة العربية الاسلامية) يقول.. (ان اليوتوبيا تضيء التاريخ فى حين ان هذا يفسر تلك. ومن الاثنين نستخلص تجربة تاريخية يعبر عنها فى موقف جماعي، ناجم عن ارث لتربية متعددة الأشكال)(★).

والفكر اليوتوبى وحده هو الفكر التوهيمى لا لسبب الا لأنه فكر الهواجس والخيالات والرؤى الرومانسية، والذى لا يجيد الفهم الموضوعى لحيثيات الواقع. وعليه فإن ما أسماه المقال بالتعويم لا مجال له الا اذا افترضنا اننا نطرح مسألة يوتوبية.

(★) عبد الله العروى. إشكالية الدولة العربية الاسلامية. مجلة المشروع. العدد الثانى. اكتوبر. 1980. ص 15.

هذا المقال رد على مقال آخر لزاهية محمد على حول (تقنين الاشتراكية).

ولأن المسألة ـ اعنى مسألة انجاز المشروع الحضارى الذى تطرحه الثورة ـ هى من البساطة والوضوح بحيث لا تستدعى كل هذا اللغط فإننا نستطيع ان نوجز الحوار فى نقطة مركزية يتمحور حولها التطبيق الاشتراكى ويفك أزمة الدوران فى الحلقات المفرغة.

المشروع الحضارى للثورة هو نقلة موضوعية من مرحلة الميكانزم الى مرحلة الاختيار الواعى المقصود الذى يجسد القوانين التقدمية لحركة التاريخ.

– والحل الاشتراكى هو ليس فقط شكل ومضمون لحلقات الانتاج الجديدة المتطهرة من نزيز الطبقات القديمة، ولكنه المؤسسة المعيارية الجديدة التى تخلق الانموذج الانسانى الجديد.

وعندما ينزل الطرح من مستواه النظرى التجريدى الى احتياجات الواقع ـ لا من حيث هو بؤرة اصطياد لامكانيات التغيير وتهجين للأحلام الواعدة بالغد، وإنما من حيث هو الحيز المكانى والزمانى للفعل الثورى ـ للابداع ـ للحضارة الجديدة ـ نقول ان الحل الاشتراكى هو طرح اهتمامات جديدة فى الواقع الجديد المتخلق بفعل

نمو وازدهار العلاقات الموضوعية الجديدة وهو اعادة تأسيس الحوار بين الانسان وبين الطبيعة بالدرجة الأولى .

إن الحل الاشتراكى بهذا المعنى هو ما اسمته جريدة الجماهيرية فى بعض اعدادها الاخيرة بـ (ايديولوجية الجمال) .

واشتراكية من هذا النوع وبهذا المعنى تستهدف في مقدمة برنامجها التغييرى تحرير الثقافة - بمفهومها الابداعي - من حدودها الستالينية من سطوة كل المساطر والنظارات الطبية ومن الياقات المنشاة ولا يمكن أن تنجز هذا البرنامج بمواد القانون الجنائي التشريعي الا إذا ...!

ان تربية الجماهير على قيمها الثورية المستلهمة من تاريخ نضالها وعلاقة تجاربها لا يمكن ان تحققه مؤسسات الضبط القضائى ومحاضر التحقيق ومرافعات ممثلى الاتهام والدفاع . بصيغة أخرى أكثر بساطة ! .

• تطبيق مقولة (البيت لساكنه) لا يمكن أن تتحقق بمجرد امتلاك الساكن للبيت وإلا تحولت المقولة إلى مسألة اعتيادية . انها تتحقق بإعادة تأسيس علاقة المواطن بالسكن . وهذه مهمة ثقافية نضالية لم تحققها لجنة القانون

رقم 4 ولن يحققها تقنين الاشتراكية تشريعيا.

● نقل أو قلب المجتمع الاستهلاكي الى مجتمع انتاجي. لا يكفيه ان يصبح الأجراء شركاء وإنما الأساس ان ينتقل المواطن من مرحلة التفكير ببطنه ـ اى معدته وشهواته ـ الى مرحلة التفكير بعقله ووجدانه ـ اى بآليات الابداع ـ.

وهذه لا اعتقد انها مسؤولية القوانين مهما كانت تقدمية وشعبية وهكذا تقاس التفاصيل الأخرى.

أربعة. أربعة

الجماهير ليست كيانا مطلقا او ذاتا مكتفية بذاتها لذاتها. انها ـ فى نهاية المطاف ـ الامثولة الجدلية لحركة الزمان فى المكان. أى أنها الوجود التاريخى المتعين فى كل مرحلة بذاتها.

ومن ثم فإن القداسة اللاهوتية الكهنوتية التى يمكن أن يعامل بها تراثها فى مرحلة من المراحل لا يفعل اكثر من ان يردنا الى (السلفية) و(الدوجماتية الفكرية).

ان تقديس الجماهير قيمة مجردة وذهنية ولا يمكن ان

تطال مرحلة ما بتفاصيلها وإلا وقعنا فى الاشكالية التى يثيرها المنهج السلفى.

فنحـن لا نستطيـع ـ بـاسم تقـديس الجماهير ـ ان نفرض على جماهير عام 2500 مثلا قوانين صادرة فى عام 1982 وهكذا.

خمسة . خمسة

لست ادعى اننى من الذين يفهمـون الماركسيـة على الأقل لأن تراثها الرهيب والمخيف.. ومجلداتها السمينة. ولغتها المستعصية على انصاف المثقفين امثالى.

مع ذلك أستطيـع أن اقـول أن ثمة أزمـة فى الوعـى الثورى العربى الجديد إذ يحيل كل قياساته الى الماركسية على طريقة الجارة التى تغار من جارتها (!).

ومع ذلك ايضا ـ استطيع أن اقول ان الدعوة الى أن يكون الثوريون هم أنموذج الحضارة الجديدة الذى يصنع وسط الجماهير القيم الحضارية لا يمكن أن تحال فوريا الى قضية بروليتارية فقط لأننى ادعى أننى اجيد القراءة فى بطاقة اللجان الثورية التى تقول (ان عضو اللجنة الثورية ـ هو القدوة فى المهارة والسلوك)[12].

(12) جريدة الجماهيرية. يناير 1983 م.

الارث الدينى والثقافة المأزومة

– 1 –

نحن . أنت . انا .

هذا جدل اول للثورة .

غدا . اليوم . امس .

هذا جدل ثان للثورة .

نحن . غدا .

هذا الجدل اليومى للثورة .

تسألنى عن الساعة. اقول انها التي بين النطفة وفعل التكوين .

وتسألنى عن قسمات الوجه فأقول انها الرائحة الغادية من زقاق الى ساحة . واحيانا يحدث العكس .

وهكذا دائما .

عندما تبدأ الثورة.

نقول: يخرج الوطن عن حدود المتاريس. تنهدم اللغة في ابجدية الخلق. تزداد حساسية الكاميرات. لا تتوقف ماكينات الطباعة.

ابدا.

هذا بيان للبصل الأخضر يستعيد عافية أوراقه.

وهذا بيان لعناق حار بين حبة رمل وبين كف شعبية.

وهذه رزمة بيانات اخرى تنتظر.

هكذا دائما.

عندما تبدأ الثورة.

تسقط المراهنات الخاسرة. يتبخر دهان الجرادل. تكتسى الاسئلة بلون صارخ وصارم وثابت ينتمى للناس الحقانيين الذين يبدأون مع غبشة الفجر وينتهون مع استواء الليل على عرشه.

وعندما تبدأ الثورة.

يبدأ فى العلن حوار جديد حول:

- الاستلاب.

– الثقافة المأزومة .

– العصابية الارستقراطية .

– 2 –

للثقافة المأزومة ـ وباستمرار ـ اشكالياتها وخوارقها وفجائعها واسطحها الترابية القابلة للانهيار السريع مثلما أن لها قائمة اتيكيت خاص بها يبدأ من حافة سكين الجاتوه ويتداعى مع ماركة شامبو الكلاب ولون ورق التواليت ، ومثلما أن لها الف وجه كالح / أصفر / باهت / متقيح / ومقزز .

والثقافة المأزومة فى مجتمع تجريبى ـ مثل مجتمعات العالم الثالث ـ تبدو نكتة تاريخية من النوع البذىء الذى لا يتوقف عن الاستهتار بأشياء الناس الجميلة البسيطة ، ذلك أنها ـ ليست فقط ثقافة كربونية/تابعة/اجيرة ـ ولكنها قبل ذلك وبعده ثقافة دراكيولية لا تعبر عن أي مشروع نهضوى ـ حتى وإن كان مجرد مشروع خطاب سياسى نهضوى ـ ذلك أن علاقة التبعية النفسية والذهنية التى تحدد موقفها من الثقافة الامبريالية ـ والتى هى صدى لعلاقة تبعية السوق الاستهلاكى المحلى لسوق

الانتاج الرأسمالى ـ تفقدها كل امكانيات وأدوات وشروط فعل الابداع الذى يتأسس أولا فى مناخ الحرية الذي تلعب فيه الحواس دور مؤسسة التنظير الايديولوجى حيث يكون حوار العين والمشهد اعادة صياغة جمالية للحوار السياسى بين المواطن والسلطة، وحوار الاصابع والمادة الطبيعية ـ ايضاً ـ اعادة صياغة جمالية للحوار الاقتصادى بين المواطن والحاجة، و.. و.. وهكذا.

ان فعل الابداع هذا المشروط بمناخ الحرية يصبح فعلا راديكاليا متقدما اذا ما تخلق فى اطار البنية الداخلية لتلك الثقافة.. وهذا ما لا يحدث اطلاقا لأنه ـ فى هذه الحالة ـ يساوى تماما الفعل الثورى الذى يقع على تلك الثقافة من خارجها، والذى يعنى ان ظرفا موضوعيا خارجيا ـ اى خارج اطارها الطبقى والسياسى، وخارج اطارها التاريخى العام ـ قد نضج واصبح جاهزاً للقيام بمهمته التاريخية فى اعادة تقنين حركة الحياة فى اتجاهها الصحيح / اتجاه الحرية والتقدم / اتجاه الجماهير. ولأن حدوثه فى الداخل ـ من جهة أخرى ـ يعنى انه جزء من

الديناميكية الذاتية لتلك الثقافة التى تتمتع بقرنى استشعار خطيريـــن يحيلان الكثير مـــن متغيراتها الى الموقـــف الانتهازى الذى توظفه لتملـق تطـور حـركـة الوعـى التاريخى للجماهير ومن ثم تعطيل امكـانيـات الثـورة او ارجائها الى أن تستكمل بناء خطتها الانقلابية على اعتبار أن الفعل التآمرى هو أهم مرتكزات المؤسسة الثقافية اليمينية المأزومة.

والفعل التآمرى الذى تطرحـه الثقـافـة المأزومـة فى مواجهة فعل الابـداع الجماهيرى، يعتمـد أسـاسـاً على المخاتلة والاحتيال والتشويه والتزييف. ذلـك انـه فعـل ميت مميت يسعى جاهداً الى قطع الطريق بين تواصل الجماهير وتراثها الثورى الذى تستلهمه فى نضالها اليومى ضد التشكيلات الاجتماعية والسياسية المعادية لوجودها وضـد منظـومـة العلاقـات والقيم التى تفـرزهـا تلـك التشكيلات.

— 3 —

ويشكل التراث الدينى واحدة من أهم وأخطر دوائر حركة الفعل التآمري، ومن ثم الثقافة اليمينية المأزومة.

وذلك لارتباط هذا التراث بمسائل الاعتقاد التى يغلب عليها الطابع الميثولوجى فى العالم الثالث بشكـل خـاص وبالعواطف البدائية لانسان هـذا العـالم الذى يستجمـع بساطته وأوليته ونقاءه وفطرته فى موقفه الاعتقادى الذى غـالبـا مـا يتصـف بـالتسليم والرضـوخ والولاء غير الموضوعى.

ولقد ورَّث الاستعمار القديم خبرته فى هذا الجانـب لوريثه المحلى فى المستعمرات السابقة اللاحقة والمتمثل فى الطبقات العميلة الموالية له، حيـث اخـذت تعمـل على تحريف وتزييف علاقة الشعب بتراثه الدينى الذى طوعته لخدمة قيم وعلاقات الاستغلال والعسف. بل أنها اتخذته ذريعة لتبرير وإقرار ممارساتها المعادية للشعـب بـدايـة بتبرير احتكار سلطة الدولة وانتهاء باحتكار عرق وجهد الكادحين معتمدة على انفرادها بالقيام بدور التـأريـخ للشعب وفلسفة حركة نضاله، وهو الدور الذى مكنها مـن طمس الدور الوطني الذي لعبتـه المؤسسـة الدينيـة المستنيرة ـ سواء من خلال الجامع أو التعليم الدينى ـ فى دفع حركة النضال الشعبى نحو مواقـع أكثر تقـدمـا فى

مواجهة العدو ودحره.

يقابلها فى الجانب الآخر استماتة الامبريالية - الاستعمار الجديد - فى العمل على توظيف ديانتها الخاصة لخدمة مصالحها الاقتصادية والسياسية - وهى إمكانية متاحة بفعل التراث اليمينى للكنيسة الكاثوليكية التى كانت تتزعم عصر الاقطاع العبودى وتناضل من أجل قمع ثورات الفلاحين، والتى تولت فيما بعد ومن خلال إرسالياتها التبشيرية التمهيد للاحتلال العسكرى وبناء الدولة الكوزموبوليتانية.

والملاحظ أن كثيراً من الشعوب التى لم تساعد ظروفها الاقتصادية فى بناء ركيزة طبقية مرتبطة مباشرة بالاستعمار على ارضها، كان المدخل البديل لذلك هو تمسيحها - أى ربطها بديانة الدولة المستعمرة ومن ثم موالاتها ثقافيا ليتم من خلال ذلك ضمان حماية المصالح الاقتصادية والسياسية الامبريالية.

— 4 —

وإذا ما أعيدت قراءة ظاهرة الثقافة اليمينية المأزومة ليبياً - كنموذج عربى افريقى من نماذج العالم الثالث -

فإننا سنجد أن الاستعمار الايطالى والادارات الاستعمارية المتعاقبة لم تستطع تمسيح الليبيين لكنها استطاعت أن تخلق ولاءات كاملة لدى القوى اليمينية فى شكل ارتباطات مصلحية عبرت عنها الطبقة الطفيلية التى خلقتها فى مجال الخدمات العامة بشكل خاص. وارتباطات ثقافية تراوحت ـ وتتراوح ـ بين اللغة وبين الوجدان المستغرب.

وشاهد ذلك هو حالة الاستنفار القصوى المعلنة فى أوساط القصور البرجوازية استعداداً للاحتفال بـ (الكريسماس) أو (النتالى). فهذه القصور التى لم ترث من البرجوازية الايطالية الا طبق المكرونة وكلمة تشاو وبابا وماما، والتى لم تسمع فى حياتها عن الكوميديا الالهية لدانتى أو الخيال العلمى لدافنشى أو اوبرا عايدة تستعد هذه الأيام لاقامة حفلات تستعرض فيها سيداتها اطقمها ويستعرض فيها رجالها الكؤوس الفاخرة، ويستعد بعضها الآخر لشد الرحيل الى الفاتيكان والملاهى الليلية دون أن يخطر بباله المرور ـ ولو عابراً ـ ببينالى فينيسيا الذى يقام هذا العام حول الفن المعمارى الاسلامى وصيانة الآثار الاسلامية القديمة.

وهذه هى برجوازية الثقافة المأزومة التى لا ترث من سيدها الا القشرة الميتة، ولا تخجل من ممارسة الطقوس المازوكية (!)

فالمسيح الذى تستعد هذه القصور للاحتفال به ليس ذلك المناضل الانسانى الذى جاء يبشر بأيديولوجية الحب، ولكنه المؤسسة الامبريالية التى تستغل ذكرى المسيح لتمريق سلعها الكاسدة فى موسم تنزيلات الأسعار. والتى تحاول انسنة اظافرها وانيابها التى تنهش لحم الفقراء بالتخفى فى جعب بابانويل.

انه فى نهاية الأمر رمز من رموز الدولة البرجوازية الاستعمارية الام التى يقدمون فروض الطاعة لملاعقها وأحجارها وأثوابها وشمعداناتها ونياشين جنرالاتها !

— 5 —

أيها الثقافة المأزومة.

أيتها القصور البرجوازية

ـ لكم مسيحكم السمين. الناعم. الجيرى !

– ولنا مسيحنا الفقير . الكادح . الحنطى !
مثلما أن لكم محمدكم التاجر ولنا محمدنا الراعى[13] .

---

(13) جريدة الجماهيرية ، 1982/12/3 م .

الفهرست

نحن . انت . أنا .
هذا جدل أول للثورة .
غداً . اليوم . أمس .
هذا جدل ثان للثورة .
نحن . غداً .
هذا الجدل اليومي للثورة .
تسألني عن الساعة . أقول إنها التي بين النطفة وفعل التكوين .
وتسألني عن قسمات الوجه فأقول إنها الرائحة الغادية من زقاق الى ساحة . وأحياناً يحدث العكس .
وهكذا دائماً .
عندما تبدأ الثورة .
نقول: يخرج الوطن عن حدود المتاريس . تنهدم اللغة في أبجدية الخلق .
تزداد حساسية الكاميرات . لا تتوقف ماكينات الطباعة . أبداً .
هذا بيان للبصل الاخضر يستعيد عافية أوراقه .
وهذ بيان لعناق حار بين حبة رمل وبين كف شعبية .
وهذه رزمة بيانات اخرى تنتظر .

الثمن
600 درهم داخل الجماهيرية